الوالدية والتربية السياسية للطفل
من منظور إسلامي

د.سعيد إسماعيل علي

التربية والتربية السياسية:

عندما نقارن بين حال الإنسان والدنيا عندما بدأ خطواته الأولى على الأرض، وما أصبحا عليه في وقتنا الراهن، نجد بونا شاسعا، تمثل في حضارات عدة قامت واندثر الكثير منها، وما زال الإنسان يبني حضارة جديدة، وإن دل ذلك على شيئ فإنما يدل على أن الحضارة هي بناء "إنساني"، صحيح أنه لولا أن الله سبحانه قد وفّر للإنسان ما يصعب عده من إمكانات "طبيعية"، لكن هذه الإمكانات هي نفسها التي تحيط بكافة الأحياء، من نباتات وحيوانات، لكن الإنسان، من بين المخلوقات كافة هو الذي استطاع أن يبني الحضارة بعقله وإحساسه ويديه، وبكل ما وهبه الله من إمكانات.

لكن الإنسان لا يبني الحضارة هكذا بسلوك فطري، مثلما يأكل وينام ويشرب ويتناسل..إنه يبنيها بسلوك تعلمه، ويُعلمه لمن يأتي بعده من أجيال لاحقة، بحيث يحدث ما يسمى بالتراكم المعرفي والتقني، وهو في سبيل ذلك يخوض ما يصعب حصره من معارك مع المجهول، ينجح مرة ويفشل مرات، لكنه لا يستسلم لليأس والإحباط، ويعلم أجياله اللاحقة هذا وذاك فيزدادوا وعيا، ويزدادوا خبرة وعلما بمزيد من التعلم.

ولعل هذه هي النقطة الفارقة بين الإنسان وغيره من الكائنات الحية الأخرى، فهو إذ يتعلم شيئا ينقله لمن بعده، فيتقدم عليه خطوة، وهكذا حتى يرتفع البناء الحضاري ويصبح حاضر الإنسان أكثر تقدما من أمسه، وينبئ الغد بمستقبل أفضل من حاضره وأمسه، وإذا لم يحدث هذا قلنا إن البناء الحضاري بدأ يتهاوى، وهو الأمر الذي حدث بالنسبة لمختلف الحضارات الأخرى.

ومن هنا لا نبالغ في كثير أو في قليل إذا قلنا أن التعلم والتعليم هما زنادا الحضارة والتقدم، ويصبح فرض عين على كل أمة أن تجد على طريقهما، وإذا استطاعت أن تحول المجتمع كله إلى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجتمع معلم ومتعلم، وتقنا أنها بالضرورة لن تسير على طريق النهوض الحضاري متباطئة متثاقلة، بل قافزة واثبة.

ووفقا للمنطق نفسه تصبح التربية هي واجب الوالدين الأول في تعاملهما مع الأبناء...

وإذا كانت هذه سنة إلهية حضارية، تصدق على كل أمة، فإن الأمة الإسلامية تجد التربية أمامها في موقع أكثر أهمية، وبالتالي تقع على عاتقها مسئولية أشد خطورة، لماذا؟

لأن الدين في لحمته وسداه ليس مجرد نصوص يتحرك بها اللسان، أو تعيها الذاكرة، أو تسطر على صفحات الورق، ولا هو مجرد شعائر يؤديها المسلم، وإنما هو بالدرجة الأولى " حياة كاملة "..سلوك يتشخص عبر بنى إنسانية تقول ما يصدقه عقلها، ويطمئن إليه قلبها، تفعل ما تقول، وتسلك وفق ما تؤمن، وتتعامل بما تؤمر، وتنهى عنه من قبل الخالق عز وجل، ورسوله ﷺ.

وتأكيدا لحتمية العملية التربوية في بناء الأمة، نجد في آيات متعددة من القرآن الكريم، أن مهمة الرسول ﷺ كانت مهمة " تربوية " بالدرجة الأولى، وأنه هو نفسه كان المعلم الأول في الإسلام، يقول عز من قال:

- (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) البقرة / ١٥١،
- وقال أيضا (لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) آل عمران / ١٦٤،
- وقال أيضا: (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) الجمعة / ٢

إنه ﷺ معلم يقرأ آيات القرآن الكريم على المسلمين ويشرحها لهم ويعمل على تطهير نفوسهم، ويعلمهم الحكمة، ويعلمهم أمورا شتى لم يكونوا على علم بها، والمصطفى عليه الصلاة والسلام يعرف وظيفته – كمرب – ويستشعر مسئوليته التربوية التي حملها إياه ربه سبحانه وتعالى عندما يقول (ألا إن ربى أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني) صحيح مسلم.

وهو في هذا وذاك إنما يضرب المثال والقدوة لكل من ولى أمرا – وفى مقدمتهم الآباء والأمهات – أن يكونوا هم أيضا خير مربين، يعلمون أبناءهم ما جهلوا مما عُلمه الآباء من كتاب

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله وسنة رسوله، وما حصلوه من حكمة الحياة وخبراتها، ومن جملتها هذه التربية المتميزة حقا: التربية السياسية.

والتربية السياسية هي عملية تنشئة للفرد والجماعة بواسطة أجهزة ومؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة مثل الأسرة والتنظيمات السياسية المختلفة، وأجهزة الإعلام من أجل اكتساب مجموعة من القيم والمعارف والمهارات اللازمة لحسن التعامل مع عناصر الحياة السياسية بمفهومها الشامل الذي يتضمن الأمور الكلية الخاصة بالمحافظة على كيان الأمة وحماية مصالحها وتطويرها وتقويتها.

وتختلف طبيعة التربية السياسية من وقت لآخر تبعا لاختلاف البيئة والظروف الاجتماعية والسياسية التي يعيشها المجتمع، فعملية التربية مرتبطة إلى حد كبير بطبيعة الكيان السياسي وما يسوده من مذهبية وما يتبناه النظام القائم من سياسات وأساليب في تنظيم الناس وتوجيههم نحو هدف مشترك. ومن هنا فإن عملية التربية السياسية لا تعتمد أسلوبا واحدا، وإنما تتنوع أساليبها وفقا للظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي يمر بها المجتمع، كما أن التربية السياسية عملية دينامية مستمرة يتعرض لها الفرد في مختلف مراحل حياته، وليس ضروريا أن تتصل بمراحل عمرية معينة (إيمان جابر شومان، ومحمد ياسر الخواجة، في: مركز البحوث والدراسات السياسية بكلية الاقتصاد بجامعة القاهرة، مؤتمر الثقافة السياسية في مصر بين الاستمرارية والتغير، القاهرة، ١٩٩٤، ج٢، ص ١٢٢٨).

ويكاد جمهور الباحثين يتفق على أن عملية التربية السياسية تبدأ من سن الثالثة وتستمر باستمرار الحياة، ويتحدد السلوك السياسي للفرد في مرحلة النضج، بدرجة ما، بخبرات التنشئة التي يكتسبها في مرحلتي الطفولة والمراهقة، وهكذا تسير التربية السياسية وفقا لما يلي (كمال المنوفي: التنشئة السياسية في الأدب السياسي المعاصر، المرجع السابق، ج١، ص ١٤):

١- مرحلة الطفولة: حتى يتسنى للنظام السياسي أن يبقى عبر الزمن، وأن يؤقلم ذاته للظروف المتغيرة، فلا معدى عن الاهتمام بالتربية السياسية للنشء، إذ يؤلف الأطفال جزءا من المجتمع السياسي، ولذلك فهم يكتسبون نظم القيم والمعتقدات السياسية السائدة في هذا المجتمع، والتي من شأنها أن تؤثر على سلوكهم السياسي في مرحلة النضج، وهي المرحلة التي تدعو المواطنين إلى القيام بأدوار معينة في العملية السياسية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢- مرحلة المراهقة، وقد أولى الباحثون هذه المرحلة قدرا كبيرا من الاهتمام لأكثر من سبب، فمن ناحية يبدأ معظم الأفراد خلالها تحمل بعض واجبات المواطنة مثل الاشتراك في التصويت وأداء الخدمة العسكرية. ومن ناحية أخرى يتعلم الفرد أثناءها قيما وأفكارا سياسية جديدة يمكن أن تتناقض مع قيم الأسرة، وفضلا عن هذا وذاك، قد تشهد هذه المرحلة اتجاه المرء إلى رفض نماذج السلوك التي نشأ على احترامها في مرحلة الطفولة، إذ يشعر بعجز الوسط الذي يعيش فيه عن فهمه فيتمرد عليه.

٣- مرحلة النضج والاعتدال، ولم تنل هذه المرحلة اهتماما ملحوظا من جانب دارسي التربية السياسية على اعتبار أن سلوك الفرد في مرحلة النضج يتحدد بما تعلمه من اتجاهات ومعارف سياسية في مرحلتي الطفولة والمراهقة، إلا أن هذا الاتجاه يغفل حقيقة جوهرية مفادها أن الأسرة لا يمكنها إعداد الفرد لمواجهة كل ما تتطلبه حياته في مرحلة النضج، خاصة وأنها لا تستطيع أن تتوقع الأدوار التي قد يتعين عليه أداؤها خلال المرحلة المذكورة.

وهناك أربع مفهومات أساسية تشير إلى العمليات التي يمر بها الطفل في نموه السياسي في المجال المعرفي والمجال الوجداني هي (حسن طنطاوي فراج: الوعي السياسي لدى طلاب المرحلة الثانوية في مصر، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٩٢، ص ٨٦):

١- عملية التسييس، وتشير إلى تعلم الأطفال حقيقة وجود سلطة خارجية للكبار في الأسرة وفي المدرسة بسرعة فائقة.

٢- عملية الشخصنة، وتتعلق بوعي الصغار بالسلطة السياسية ممثلة في الأفراد من القيادات والزعامات، خصوصا الشخصيات السياسية والهامشية كرئيس الجمهورية ورجال الشرطة.

٣- إضفاء الطابع المثالي، ويعنى النزعة المميزة للأطفال في صبغ قيادات السلطة السياسية والزعامات الوطنية بصبغة مثالية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لماذا التربية السياسية للأطفال؟

ومع ذلك، فهناك كثيرون، مع الأسف، يظنون أن " السياسة " هي من أمور الكبار، ومن ثم فالتربية الخاصة بها لا يُتصور أن تكون للأطفال، وربما يتسامحون فلا يرون مانعا من أن تبدأ هذه التربية من سن الشباب.

بل إننا كثيرا ما نسمع آباء وأمهات يحذرون أبناءهم – إذا ظهرت لديهم " أعراض " سياسية، من الانشغال بها، وأن الأهم هو " الالتفات " إلى دروسهم، ويكادون يعلنون لهم، علانية أو سرا: " وقانا الله شر السياسة " !!

فإذا كان هذا هو واقع الحال، فكيف بنا نبحث كيفية قيام الوالدين بتربية أبنائهم الصغار تربية سياسية؟

الحق أن ما هو " واقع " لا يلزمنا دائما بمسايرته والخضوع له، فأحيانا ما يكون هذا الواقع منحرفا، أو غير صحيح، أو يسير في اتجاه معاكسا لمصالح الأمة، ومن ثم، ففي مثل هذه الأحوال وما يجرى مجراها لابد أن " نعرى " هذا الواقع ونكشف عن مجانبته للصواب، ونسعى نحو تصحيح مسيرته.

وأول خطوة على هذا الطريق هي نبحث في " المفهوم " القائم في العقول والمشاعر، فلعله غير سوى، مما يترتب عليه سلوك غير سوى، ونحاول أن نكشف عن المفهوم الصحيح، فلعله يعين في تصحيح المسار.

في أغلب الأحوال فإن السياسة تنصرف عند عموم الناس إلى ما يتصل بتصرفات الحكومة القائمة، أيا كان العصر، وأيا كانت الدولة. وبفعل ميراث قرون طويلة مرت بالكثرة الغالبة من البلدان الإسلامية كانت الحكومة في العادة تجئ بوسائل متعددة ليس من بينها " اختيار " أفراد الأمة، أو حتى أهل الحل والعقد، وفضلا عن ذلك فقد اتسمت العلاقة بين الحكومة والناس بالخوف والتربص، فالحكومة تخشى من " مؤامرات " تنزع السلطة منها، فيحكم سلوكها " الهاجس الأمني " الذي يجعلها لا تشعر بارتياح تجاه من يخالفها الرأي، وربما تسعى إلى حجبه بالقوة، سواء بالنفي أو السجن، أو الاعتقال، أو الحصار. وينظر الناس في أغلب الأحوال إلى الحكومة وكأنها مجرد " جابية " للأموال، وكذلك باعتبارها مالكة " للعصا والجزرة "، فيسعى البعض إلى القرب منها ابتغاء المغنم، ويهرب بعض آخر خوفا من العصا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لكن من قال أن هذا هو مفهوم السياسة؟

الحق أن السياسة في معناها العام هي " الإدارة العامة للمجتمع "...هي طرق وأساليب العمل لتحقيق المصالح العليا الكلية للأمة، وسلوك " الحكومة " هو جزء من كل، وليس هو الكل، وتعبير رسول الله ﷺ في مخاطبته عموم المسلمين بقوله " كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته "، لهو أدق توصيف لهذا الذي نريد بيانه، فكل صاحب سلطة، أيا كان مستواها، مسئول عن " سياسة " أمرها، تدبير أمرها. فليس الحاكم العام هو وحده المسئول، وإنما المعلم في فصله، والوالدان في الأسرة، ورئيس العمل في المرفق الحكومي أو الخاص..وهكذا.

واستخدام رسول الله كلمة " راع " و " رعية " نسبة إلى الرعاية، كناية عن الرفق والتبصر والتعقل، والاهتمام بشئون الرعية، بعيدا عن أساليب القهر واستبداد والاستغلال، أفليس رسول الله ﷺ نفسه الذي جعل من الدرجات العليا في الجهاد، كلمة حق تقال لسلطان جائر؟!

إذا تبين لنا هذا المعنى، لا تصبح السياسة أمرا خاصا بالكبار وحدهم، وإنما هي خاصة بكل أفراد الأمة، وفق درجات ومستويات مختلفة.

ومن ناحية أخرى فقد أصبح من مسلمات العلوم التربوية والنفسية، بل من أوليات التطور والنمو، أن الخطوات الأولى إذا أحسناها، ضمنا إلى حد كبير سلامة الخطى فيما بعد، وأصبح من غير المتصور أن ننتظر حتى يكبر الأبناء، ثم نربيهم تربية تمكنهم من حسن التفكير السياسي، وسعة الثقافة السياسة، والمشاركة فيما يتصل بالمصالح العامة، فمثل هذه الأمور تحتاج إلى التأسيس لها، وبذر بذورها الأولية في مرحلة الطفولة، وفقا لمستوى عمره العقلي ودرجة نموه.

ومن ناحية ثالثة، فمهما كانت انتقاداتنا تجاه بعض السياسات، لكن الذي لا شك فيه، أن الأمر قد اختلف بدرجة ما عن عصور، بل وحقب سابقة، فلقد اتسعت مساحة المشاركة، واتسعت مساحة حرية التعبير، وظهرت منافذ وقنوات تعبر عن الرأي والرأي الآخر، ولم يعد سهلا اليوم إخفاء أفعال الظلم والقهر والاستبداد، فالعيون المراقبة قد كثرت، واتسعت حدقاتها. وفضلا عن ذلك، فنحن نلمس واقعا ينطق بأن الخطى تتسارع نحو مزيد من الديموقراطية ن والكثير من حرية التعبير والحركة، مما من شأنه يخفف، إن لم يزل، معاني الخوف، ومظاهر السلبية، وأشكال سوء الظن.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أمـا وقد استبان لنا أهمية التربية السياسية لأطفالنا وضرورتها، يمكن لنا أن نعرج على عدد من الجوانب التي تكشف عن هذه التربية. لكن، إذا كانت فترة الطفولة تمتد من لحظة الميلاد إلى نهاية التعليم الأساسي عند كثيرين، فإننا نلفت النظر إلى أن المساحة الزمنية التي نتناول الأطفال من خلالها هي الخاصة بفترة التعليم الأساسي وحدها. أي من السادسة على وجه التقريب حتى الثانية عشر.

ولعلنا في هـذا نعتمد على بعض الأسانيد، ففي المعجم الوسيط نجد أن الطفل: المولد حتى البـلوغ، أو الصغير من كل شئ، أو الجزء منه عينا كان أو حدثا فيما جاء بلسان العرب لابن منظور، وهـذا يعـني أن الكلمة تستعمل لصغير الإنسان والحيوان، وللجزء من الجمادات، وتستعمل للواحد وللجمع، وجمعها: أطفال، ففي القرآن الكريم (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا) النور / ٥٩، وقد يستوي فيه المذكر والأنثى والجمع، قال سبحانه وتعالى (ثم نخرجكم طفلا) الحج / ٥، وقال عز وجل أيضا (أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) النور / ٣١.

أمـا تحديـد فترة الطفولة، فمن الممكن استنباطها من قول المولى عز وجل (يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث، فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغـير مخـلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم) الحج / ٥

فها هنا نجد الآية قد فصلت المراحل العمرية للإنسان، وبينت أن مرحلة الطفولة تأتي عقب انفصال الوليد عن رحم أمه بعد الولادة، إلى أن يبلغ الحلم وسن التكليف، ولذا قال العلماء في المعنى: ثم نخرج كل واحد منكم طفلا، والطفل يطلق من وقت انفصال الولد إلى البلوغ (رأفت فريد سويلم: الإسلام وحقوق الطفل، رابطة الجامعات الإسلامية، القاهرة: ٢٠٠٣، ص ١٤).

وإذا تمعنا في ما جاء بالقرآن الكريم حول آداب الاستئذان بالنسبة للطفل، قبل وبعد أن يبلغ الحلم، فسنجد ما يدل على المعنى السابق، يقول عز من قال: (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذيـن مـلكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم (النور / ٥٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالحُلُم هو زمان البلوغ، فلما كان الطفل غير عاقل ويفتقد التمييز، فقد أباح الله له الدخول في كل الأوقات عدا ما ذكر من الأوقات. فإذا ما بلغ واحتلم، فإنه يأخذ حكم الرجال في الاستئذان، فيستأذن في جميع الأوقات، ومن ثم تكون البداية الزمنية للطفولة بعد الولادة مباشرة، أما نهايتها فمع احتلام الصبي وبلوغه مبلغ الرجال (المرجع السابق، الصفحة نفسها).

لكن، لما كان موضوعنا يتعلق بعملية تعليم تتطلب فهما واستيعابا وتحصيلا مما يستلزم قراءة وكتابة، كانت البداية ببداية دخول المدرسة، دون أن يعني هذا أن هذه هي بداية مرحلة الطفولة.

وننتهي بنهاية المدرسة الابتدائية، على الرغم من أن الطفل ربما لا يكون قد بلغ الحلم وقتها، وذلك فقط لتضييق مجال البحث والدراسة حتى يمكن توفير ما هو مرجو له من العمق في التحليل والتفسير.

..ولماذا من منظور إسلامي؟!

وجه هذا التساؤل هو تلك الدعوى التي يتناقلها " علمانيون "، سواء من المسلمين أو غيرهم، بأن الدين على وجه العموم، ومن ثم الإسلام، لا علاقة له بالمسألة السياسية، حيث أنها شأن إنساني محض، متغير من زمان إلى زمان، ومن مكان إلى مكان، ومن ثم فهي محكومة فقط بالنظر الإنساني.

وهي قضية شهيرة كتب فيها كثيرون من مختلف الزوايا، منذ أن أطلق الشيخ علي عبد الرازق شرارة كتيبه المعروف (الإسلام وأصول الحكم)، وبالتالي فقد يرى البعض أن ليست هناك ضرورة بالنسبة لدراستنا الحالية أن نخوض في هذه المسألة.

لكننا في الحقيقة، مع التسليم بكثرة ما كتب في الموضوع، نرى أنه يشكل لقضيتنا هنا نقطة الانطلاق الأساسية، مع الحرص على أن يكون تناولنا لها باختصار.

فلقد برهن كثيرون على ما يثبت صحة القول بأن المسألة السياسية جزء أساسي في الإسلام، مما أدى إلى توافر الكثير من الآراء والأفكار والنظريات السياسية نتاج تفكير عدد من علماء المسلمين الأوائل، فالمسلمون قد فكروا فعلا في السياسة، غير أن بحثهم كان تحت اسم آخر، وتكلموا بلغة أصبحت غير مألوفة في العصر الحاضر، فالنظريات التي وصلوا إليها كانت: إما جزءا من مباحث علم الفقه أو الكلام، أو التاريخ، أو الفلسفة، أو الأدب، ويوجد بعضها أيضا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في تفاسير القرآن، وفي شروح الأحاديث، ولذا فإنه ينبغي لمن يريد أن يفهم هذه الآراء فهما حقيقيا ويلم بها إلماما تاما أن يرجع إلى تلك العلوم جميعا.

وهذه النظريات، في مجموعها، وإن كانت قد غلب عليها طابع معين واتخذت وجهة خاصة، وانتهت في سير التطور إلى حدود لم تتجاوزها، فإنها مع ذلك تكون ثروة عظيمة القيمة، جديرة بالعناية والدراسة (محمد ضياء الدين الريس: النظريات السياسية الإسلامية، القاهرة، دار التراث، ١٩٧٩، ط٧، ص ١٧).

والمتأمل في كثير مما جاء الإسلام يجد أن تنفيذه لا يدخل في اختصاص الأفراد، وإنما هو من اختصاص الحكومات، وهذا وحده يقطع بأن الحكم من طبيعة الإسلام ومقتضياته، وأن الإسلام دين ودولة (فرج محمد الوصيف: الدولة والإمامة في النظام السياسي الإسلامي، المنصورة، مطابع إياك كوبي، ١٩٩٤، ١٦).

فالإسلام قد أتى بتحريم كثير من الأفعال واعتبر إتيانها جريمة يعاقب عليها، وفرض لهذه الجرائم عقوبات، ومن هذه الجرائم: القتل العمد وعقوبته القصاص (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى) البقرة / ١٧٨، والسرقة وعقوبتها قطع اليد (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) المائدة / ٣٨،والقذف، وعقوبته الجلد (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة) النور / ٤.

وليس من شك أن القرآن لا يأتي بالنصوص الخاصة بالجرائم عبثا، وإنما جاء بها لتنفذ وتقام، وإذا كان القرآن قد أوجب على المسلمين إقامة هذه النصوص وتنفيذها، فقد أوجب عليهم أن يقيموا حكومة ودولة تسهر على إقامة هذه النصوص، وتعتبر تنفيذها بعض ما يجب عليها.

والإسلام يحرم الاحتكار في قول الرسول ﷺ " ولا يحتكر إلا خاطئ "، فيما رواه الترمذي في كتاب البيوع، ويحرم الربا في قوله عز وجل (وأحل الله البيع وحرم الربا) البقرة / ٢٧٥، ويحرم استغلال النفوذ والرشوة في قوله تعالى (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون) البقرة / ١٨٨. وتحريم الاحتكار والربا والاستغلال والرشوة من أول ما تعمل له الحكومات الصالحة ومن أهم اختصاصها (المرجع السابق، ص ١٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولم يعـد هناك شك في أن النظام الذي أقامه رسول الله ﷺ والمؤمنون معه بالمدينة – إذا نظر إليه من وجهة مظهره العملي وقيس بمقاييس السياسة في العصر الحديث – يمكن أن يوصف بأنه " سياسي "، بكل ما تؤديه هذه الكلمة من معنى، وهذا لا يمنع أنه يوصف في نفس الوقت بأنه" ديـني " إذا كانت وجهة الاعتبار هي النظر إلى أهدافه ودوافعه،والأساس المعنوي الذي يرتكز إليه (الريس، ص ٢٧).

فالـنظام يمكن أن يوصف إذن في وقت واحد بالوصفين، وذلك لأن حقيقة الإسلام شاملة: تجمـع بـين شـئون الناحيـتين المادية والروحية، وتتناول أعمال الإنسان في حياته الدنيوية والأخـروية. بـل إن فلسفته عامة تمزج بين الأمرين، ولا تعترف بالتمييز بينهما إلا من حيث اختلاف وجهة النظر، أما في ذاتيتهما فيؤلفان كلا أو وحدة متسقة، وهما متلازمان لا يمكن أن يتصـور انفصال أحدهما عن الآخر. وهذه الحقيقة عن طبيعة الإسلام قد أصبحت من الوضوح بحيـث لا تحـتاج إلى كبير عناء لإقامة البرهان، وهي مؤيدة من حقائق التاريخ، وكانت عقيدة المسلمين في كل العصور السالفة.

وتـلزم الإشـارة كذلك إلى أن رسول الله ﷺ أمد الصحابة بتوجيهات، ليس في نظام الحكم فحسـب، بل في كيفية مجابهة أمور مستقبلية تنبأ بها رسول الله الذي أوتى القرآن ومثله معه، ويكفـي التمـثيل لها بما رواه أبو هريرة مرفوعا: " تعوذوا بالله من رأس السبعين، ومن إمارة الصبيان "، وحديث سمرة في الصحيحين: " لا يزال هذا الأمر عزيزا، ينصرون على من ناوأهم عـليه، اثـني عشر خليفة، كلهم من قريش " (السيد عمر: الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٣٣).

كما أن رسول الله ﷺ أوضح للأمة أنساق الحكم بكل جلاء، وتكفي الإشارة إلى ما رواه ابن عمـر، عن رسول الله: " كلكم راع وكلكم راع مسئول عن رعيته، الإمام راع مسئول عن رعيـته، والـرجل في أهله راع مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته، وكلكم راع مسئول عن رعيته " فيما أخرجه الشيخان. فالحديث أشرك كل فرد مكلف، في التسمية، أي في الوصف بالراعي، ورعاية الإمـام هـي حياطة الشريعة بإقامة الحدود، العدل في الحكم، ويتم بنصبه والسمع والطاعة له اجتماع الكلمة، ويكون للناس نظام، ورعاية الرجل أهله: سياسته لأمورهم وإيصالهم حقوقهم،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ورعايـــة المرأة: تدبير أمر البيت والأولاد والنصيحة للزوج، ورعاية الخادم، حفظ ما تحت يده، فهذا الحديث جعل كل مكلف راعيا وحاكما، على مرتبته (المرجع السابق، ص ٣٤).

الجهود الفكرية السياسية لعلماء المسلمين:

لا نـــزعم هـــنا أنـــنا سوف نقوم بعملية استقراء كامل وتحليل للفكر السياسي عند علماء المسلمين، ولكننا سنشير إلى أمثلة ونماذج، بصورة موجزة أيضا، وذلك لبيان القضايا والجوانب والمـــبادئ التي شغلت هؤلاء العلماء، وسوف نقصر، فيما نشير ونعرض على ما يمكن الاعتماد عـــليه في تربيتنا للأطفال سياسيا، ليكون هذا الفكر مصدرا تاليا لمصدري الإسلام الأساسيين، القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

وأول مـــا نجده هنا هو كتاب (الإمامة والسياسة) للإمام الفقيه ابن قتيبة الدينوري (المتوفى سنة ٢٧٦هـــ)، وهو المعروف بتاريخ الخلفاء (مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٨).

فهـــو إذ يعـــرض للأحداث التي أدت إلى تولى هذا وذاك سدة الحكم في الدولة الإسلامية، يكشف عن عدد غير قليل مما يتعلق بالسلطة وكيف يتم توليها والشروط التي يجب أن تتوافر في توليهـــا، ومـــا يحـــاط بهذه العملية من ممارسات سوية أو غير سوية، مما يغذى الفكر السياسي الإسلامي بزاد مهم.

فممـــا نقله الدينوري من مبادئ، ما جاء على لسان أبي بكر عقب اختياره لخلافة رسول الله ﷺ: " فـــأطيعوني مـــا أطعت الله، فإذا عصيت فلا طاعة لي عليكم " مما يعنى أن طاعة المحكوم لـــلحاكم مشـــروطة بمـــدى امتثاله لطاعة الله في أوامره ونواهيه، وقوله أيضا: "...وما أنا إلا كـــأحدكم، فـــإذا رأيتموني قد استقمت فاتبعوني، وإن زغت فقوموني " (ص ١٦)، فهنا ينبه الصديق على ضرورة النقد لمتولي السلطة إذا ما شاب تصرفه ما يزيغ به عن الطريق المستقيم.

أما أحمد بن يوسف بن إبراهيم المعروف بأحمد بن الداية المتوفى في أوائل العقد الرابع من القرن الرابع الهجري وممن عاش في مصر معظم حياته، فقد كتب مشاركا في معركة ثارت بين أنصار الـــثقافة الفارسية وأنصار الثقافة اليونانية، في تلك الفترة التي زخرت فيه الحضارة الإسلامية، خاصة في العصر العباسي بالعديد من عناصر الثقافتين، وكانت الزاوية التي دافع من خلالها عالمنا عـــن الثقافة اليونانية هي تأكيده بأن لها باع طويل في المؤلفات السياسية، وهو بذلك أسهم – على الرغم من بعض أخطاء – في تغذية الفكر السياسي الإسلامي بعناصر من الفكر السياسي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اليوناني، وهذا في حد ذاته برهان على قيمة الإطلاع على أفكار الآخر الحضاري السياسية، وأنه لا مانع بأخذ بعض ما فيها ما دامت لا تتعارض مع الشريعة الإسلامية (أحمد بن الداية: الفلسفة السياسية عند العرب، تحقيق عمر المالكي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٧١).

كذلك كتب أبو الحسن الماوردي كتابه (الأحكام السلطانية والولايات الدينية، القاهرة، دار الفكر، ١٩٨٣)، وهو من عنوانه يتصل بالبحث في " السلطة " التي هي أهم قضية في الفكر السياسي على وجه العموم. وهو يرشدنا إلى أن أهل الإمامة – وهو المصطلح الشائع في الفكر السياسي الإسلامي، وترادف على وجه التقريب ما نصطلح عليه اليوم بالسلطة – يتفقون في الغالب والأعم على ضرورة توافر شروط بعينها فيمن يتولاها ومن أهمها (ص ٦):

- العدالة على شروطها الجامعة.
- العلم المؤدى إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام.
- سلامة الحواس من السمع والبصر واللسان ليصح معها مباشرة ما يدرك بها.
- سلامة الأعضاء من نقص يمنع عن استيفاء الحركة وسرعة النهوض.
- الرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح.
- الشجاعة والنجدة المؤدية إلى حماية البيضة وجهاد العدو.

لابن أبي الربيع – من علماء القرن السابع الهجري غالبا، فقد كتب (سلوك المالك في تدبير الممالك (تحقيق ناجي التكريتي، بيروت، دار الأندلس، ١٩٨٣)، حيث نصح فيه بسياسة الناس بالدين والقيم والسنة العادلة، وتوجيه رئيس واحد تكون له أكمل المراتب الإنسانية في الفصل الأول، وينصح في الفصل الثاني بضرورة أن يروض الإنسان نفسه على مكارم الأخلاق، والتحلي بالصفات الحسنة، وتجنب الصفات القبيحة، وأن على الإنسان أن ينمى الأخلاق الجميلة، أما إذا وجد عنده خلقا قبيحا فعليه أن يعترف به ويقف ضده، كالطبيب الذي متى صادف البدن أزيد حرارة أو أنقص رده إلى التوسط في الحرارة، حتى نعود أنفسنا على الوسط (ص ١٢).

وابن الربيع بذلك يبرز خاصية لا تخطئها عين في الكثرة الغالبة من الكتابات الإسلامية السياسية ألا وهي اشتراط ارتباط الممارسة السياسية بالدين والأخلاق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولأبي العباس أحمد بن تيمية، المتوفى سنة ٧٢٨ هـ كتابا بعنوان (السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، تحقيق محمد إبراهيم البنا، ومحمد أحمد عاشور، القاهرة، دار الشعب، ١٩٧١)، ومما جاء فيه مبدأ من أهم المبادئ في إدارة الدولة، ألا وهو وجوب أن يولى الحاكم على كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجده لذلك العمل (ص ١٨)، فقد قال رسول الله ﷺ " من ولى من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله (والمؤمنين) "، فيما رواه الحاكم في صحيحه.

وروى بعضهم أنه من قول عمر لابن عمر، روى ذلك عنه، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه " من ولى من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا لمودة أو قرابة بينهما، فقد خان الله ورسوله والمسلمين " (ص ١٩).

ومن هنا فإن أبا مسلم الخولاني، عندما دخل على معاوية بن أبي سفيان قال: السلام عليك أيها الأجير، فقالوا: قل: السلام عليك أيها الأمير ! فقال: السلام عليك أيها الأجير، فقالوا: قل: أيها الأمير ! فقال معاوية: دعوا أبا مسلم، فإنه أعلم بما يقول، فقال: إنما أنت أجير، استأجرك رب هذه الغنم لرعايتها، فإن أنت هنأت جرباها (عالجت جربها بالقطران)، وداويت مرضاها، وحبست أولاها على أخراها، وفّاك سيدها أجرك، وإن أنت لم تهنأ جرباها، ولم تداو مرضاها، ولم تحبس أولاها على أخراها عاقبك سيدها (المرجع السابق، ص٢٤).

أما ابن قيم الجوزية المتوفى عام ٧٥١ هـ، فله كتاب (الطرق الحكمية في السياسة الشرعية بتحقيق محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٥٣) فهو يؤكد على ضرورة أن يكون الحاكم ذا دراية بحركة التاريخ الكلية العامة، وكذلك وعى بما عليه الناس من أحوال " فهنا نوعان من الفقه لابد للحاكم منهما: فقه في أحكام الحوادث الكلية، وفقه في نفس الواقع وأحوال الناس، يميز به بين الصادق والكاذب، والمحق والمبطل، ثم يطابق بين هذا وهذا، فيعطى الواقع حكمه من الواجب، ولا يجعل الواجب مخالفا للواقع " (ص ٤).

وهو يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن الغاية من الشريعة هي العدل، وأن ما جاءت به الشريعة مما يحقق العدل وأنه لا عدل فوق عدلها، ولا مصلحة فوق ما تضمنته من المصالح " فإن السياسة نوعان: سياسة ظالمة فالشريعة تحرمها، وسياسة عادلة تخرج الحق من الظالم الفاجر، فهي من الشريعة، علمها من علمها، وجهلها من جهلها " (المرجع السابق، ص٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد تبدو مثل هذه الكتابات عسيرة الفهم إلى حد ما بالنسبة للأطفال، لكننا نؤكد أن التبسيط إذا كان قد أمكن القيام به بالنسبة إلى العديد من النظريات العلمية المعقدة سعيا لتقديمها إلى الأطفال، فإن الأمر هنا لا يقل عن ذلك أهمية، مع ما تقتضيه عملية التبسيط والاختصار من أولويات وطرق تناول.

الأسرة كوسيط للتربية السياسية للأبناء:

وغني عن البيان أن الأسرة نموذج متوسط بين التجمع وفق قوانين الطبيعة والفطرة السوية من جهة وبين التجمع وفق قواعد اجتماعية من جهة أخرى، وأن لها بهذا التكوين مقدرة عظيمة في تحقيق قدر كبير من المقاصد العامة للشريعة الإسلامية (عادل أحمد كرداوي: موقع الأسرة في الثقافة الإسلامية، في: مبادئ تربية الأسرة ومناهجها في ظل تعاليم الإسلام، بحوث ندوة عقدت بمكة المكرمة، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، ٢٠٠١، ص ٤١).

ولعل في مقدمة مقاصد الشريعة مما يتصل مباشرة بدور الأسرة: مقصد حفظ النسل، فقد خلق الله البشر من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وعن طريق التناسل والتوالد بث منهما رجالا ونساء، وجعل منهم الشعوب والقبائل ليتعارفوا، ويتعاونوا على البر والتقوى، وجعل الأولاد زينة الحياة (المال والبنون زينة الحياة الدنيا..) الكهف / ٤٦، ونعمة عظيمة يمتن بها الله سبحانه على عباده (وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) الإسراء / ٦...إلى غير ذلك من الآيات التي تصور عواطف الأبوين الفطرية نحو الأولاد.

وجعل سبحانه الزواج سنة ماضية في عباده وآية من آياته (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) الروم / ٢١.

وللزواج مصلحة رئيسية أو مقصد أصلي يتمثل في المحافظة على النسل وحفظه من الانقطاع، وللإمام الغزالي رأى واضح إذ يقول " وإن الولد هو الأصل المقصود، وله وضع النكاح، والمقصود بقاء النسل، وأن لا يخلو العالم من جنس الإنس، وإنما الشهوة خلقت باعثة مستحثة...كالتلطف بالطير في بث الحب الذي يشتهيه ليساق إلى الشبكة " (المرجع السابق، ص ٤٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كذلك يستند الحرص على أهمية قيام الأسرة بدور أساسي في تربية الأبناء سياسيا إلى عدد من الأمور، نذكر منها (مجدي صلاح المهدي: التثقيف السياسي للأبناء ودور الأسرة في تنميته، في: مؤتمر الثقافة السياسية، مرجع سابق، م٢، ص ٨٨٤):

١- المسئوليات القانونية والدستورية الملقاة على عاتق الأسرة في عملية التربية والتنشئة لأطفالها، فقد نصت المادة رقم (١٠) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن الأمم المتحدة بوجوب منح الأسرة أوسع حماية ومساعدة ممكنة، إذ أنها " الوحدة الاجتماعية الطبيعية والأساسية في المجتمع بحكم تأسيسها وأثناء قيامها بمسئولية رعاية وتثقيف الأطفال القاصرين "، وأكد الإعلان ذاته في المادة (٢٦) أن " للآباء الحق الأول في اختيار نوع تربية أولادهم "، كما أكد الدستور المصري في مادته رقم (٩) أن الأسرة أساس المجتمع، قوامها الدين والأخلاق والوطنية، وأوجب في مادته رقم (١١) كفالة الدولة لها، وللتوفيق بين واجبات المرأة نحو الأسرة وعملها في المجتمع.

٢- يبرر هذا أيضا استقراء الواقع الفعلي لأفراد المجتمع من الناحية السياسية، حيث أشارت بعض الدراسات السياسية إلى (المرجع السابق، ص ٨٨٥):

- وجود نوع من اللامبالاة السياسية بين الأفراد داخل المجتمعات العربية.
- انخفاض درجة المشاركة السياسية بين الجماهير نتيجة العلاقة السلبية بين الشعوب والحكومات.
- معاناة الأجيال الجديدة من قلة الثقافة، وضعف الانتماء الوطني، والميل إلى التسيب، والرغبة في الهجرة، واللامبالاة بالمشكلات المجتمعية.
- وجود فراغ سياسي كبير بين الأفراد وقلة امتلاكهم الحس السياسي والوعي القومي والإسلامي بالقدر الذي يمكنهم من المشاركة في أحداث المجتمع، مع افتقادهم للرؤية الواضحة بما يتخذ من إجراءات سياسية سواء أكان ذلك على المستوى المحلي أم المستوى الإقليمي أم على المستوى الدولي.
- قلة وضوح الفكر السياسي الإسلامي أمام الشباب، التعرض لعمليات الاستقطاب، وقلة الانتماء لفكر معين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- وأكـدت دراسات أيضا على أن الواقع الثقافي لأبنائنا سئ للغاية، وبناؤهم الثقافي هش ضعيف إلى حد مقلق يؤذن بالأخيار، وعندما يكون الحديث عن نسبة ٤٠% من سكان الوطن العربي يقل عمرهم عن ١٥ سنة، فإنه ليس من الأمانة أن نخدر أنفسنا بابتسامات التفاؤل، ونهرب من مواجهة الواقع، بل لابد من عملية استنفار مجتمعي شامل لكل الأجهزة والمؤسسات إذا أردنا حقا أن نبنى أبناءنا بناء قويا (المرجع السابق، ص ٨٨٦).

والحق أن الأسرة لا تقوم فقط ببعض الحماية للطفل في فترة عدم نضجه البيولوجي، بل إنها أيضا المؤسسة التي تقدم للطفل تطبيعا اجتماعيا أوليا وتربية أولية. والتطبيع الاجتماعي في الأسرة ببساطة هو العملية التي يتكيف فيها الفرد مع بيئته الاجتماعية ويعرف فيها أنه متعاون وعضو فعال في المجتمع (أيثور موريش: علم الاجتماع، ترجمة حسن الفقي، دار القلم، الكويت، ١٩٩٣، ص ١٨٦).

والتطبيع الاجتماعي في الأسرة أكبر من أن يكون مجرد مسألة تتصل بالتدريب المترلي، وتعلم قواعد قليلة، وتقبل أو رفض عقوبات أسرية، وهو بداية امتصاص الذات لثقافة مجتمع الأسرة، والتي ستستمر خلال حياة الفرد ما قد يعانيه من انسلاخ جزئي أو كلى عن تلك الثقافة، وحقيقة أن مترله أو أسرته قد يساعدانه على هذا الانسلاخ، ومع ذلك فالحقيقة أيضا أن مجموعة أفكار ومعتقدات وخبرات الوالدين قد تعمل ضد هذا الامتصاص، وكثير من الأطفال لا يصلحون لمجتمعهم نتيجة التعليم الذي يقدمه الوالدان، أو نتيجة نقص في هذا التعليم، كما أن علاقات الأدوار المطلوبة في المجتمع قد لا توجد كلية في البيت، ليس بالضروري لأنه بيت " سئ " بالمعنى العام المقبول للكلمة، بل لأن معتقدات الوالدين محدودة ومقيدة. وقد يطور صراع في الولاءات لدى الطفل من خلال التطبيع الاجتماعي المبكر مما يؤدى إلى تضارب في المشاعر والعلاقات. وربما لا يمكن تجنب المشاعر المتضاربة في الحب والكراهية، والولاء والتمرد، وهكذا، ولكن في الإمكان التغلب على هذه المشاعر المتضاربة بواسطة أفراد الأسرة إذا ما بقيت هذه المشاعر المتضاربة في إطار الأسرة. ومع ذلك فإذا ما وضعت هذه المشاعر في مواجهة المجتمع فإن هناك خطرا جسيما من عدم الانسجام الكامل وإرباكه في تطوير مشاعره الأسرية والاجتماعية (المرجع السابق، ص ١٨٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويـــبرز الـــدور الخطير الذي يمكن أن تقوم به الأسرة في التربية السياسية إذا تنبهنا إلى أن مؤسسات التعليم غالبا ما تكون خاضعة وموجهة من قبل الدولة من حيث التوجهات السياسية حتى ولو كانت مؤسسات خاصة، بينما الأسرة ما زالت الوحدة الاجتماعية الوحيدة التي بقيت في آلياتهـــا الداخلية خارج السيطرة المباشرة، وهو ما يرشحها لأن تكون أقوى جبهات التنشئة الحضـــارية وثقافة " المقاومة " (هبة رؤوف عزت: المرأة والعمل السياسي، رؤية إسلامية، د.م المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٥، ص ٢٣٢).

السلطـــــــة:

السلطة هي استعمال الحق الممنوح لفرض أمر ما على شخص ما، كحق الولاية على النفس، إذ يخـــول الولي أن يمارس سلطة على القاصر تأديبا وتطبيبا وتعليما وإيجارا وتزويجا وغير ذلك، وكذلك حق حضانة الصغير وتربيته (مصطفى أحمد الزرقاء: المدخل الفقهي العام، دار الفكر، بيروت، ط٦، ج٣، ص ١١).

وإذا كانت السلطة العامة التي تدير المجتمع تتمثل في شكل ما من أشكال الحكم، فمن المهم لـــلغاية أن يبرز الوالدان للطفل كيف أن الإسلام لم يفرض شكلا بعينه دون غيره، وإنما فرض مـــبادئ وقواعد وأسس لابد من مراعاتها، وهنا تأتي أهمية دروس التاريخ، فلقد رأينا من واقع الـــتاريخ نظام الاستخلاف في عصور الخلفاء الراشدين يختلف من خليفة إلى خليفة، ثم جاءت العصور التالية وفيها خلاف ما كان في عصر الخلفاء الراشدين، ومن هنا تجئ توعية الطفل بأنه لم يكن ثمة من حرج في أن يجتهد المجتهدون في هذا المجال دون تثريب، ما دام محتوى العدل قائما، وما دامت الحقوق تصل إلى أصحابها، وما دام الحاكم يستشعر أنه " راع وأنه مسئول عن رعيته "، وأن القـــوى في هذه الرعية ضعيف حتى يأخذ الحق منه، وأن الضعيف فيها قوى حتى يأخذ الحـــق له، وأن على الرعية أن تعينه إذا رأته سائرا على الحق، وأن عليها أن تقومه وتنصحه بما يسدده ويعيده إلى جادة الحق إذا رأته على الباطل (طه أبو كريشة في: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة: ندوة أدب الاختلاف في الإسلام، الرباط، ٢٠٠٠، ص ٢٣١).

ومن بين آيات كثيرة تضمنها القرآن الكريم، دعوة إلى ممارسة السلطة الرشيدة، قوله عز من قال (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) التحريم / ٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فوقاية الأهل هنا تعني إرشادهم إلى الطريق الذي يجعلهم مطيعين لله عز وجل فيما أمر، وفيما نهى، ويتم هذا عن طريق التربية والتهذيب، وما يتضمنه هذا من تعليم فرائض الدين والمعاملات التي تتفق وما جاءت به الشريعة الإسلامية.

وفيما أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة ما رواه جابر بن سمرة، قال ﷺ " لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع "، وهذا مؤداه أن من خير الأفعال التي يمارسها الأباء على أبنائهم تنشئتهم على أخلاق الصلاح والاستقامة وكل ما من شأنه أن يعينهم على أن يكونوا أعضاء في أمة تستحق بالفعل أن توصف بأنها خير أمة أخرجت للناس، ذلك أن من شأن حسن التربية الإسلامية أن تتضمن بدورها تعزيزا للاتجاه نحو التصدق في أبواب البر المختلفة.

وهذا ما يؤكده ويعززه حديث آخر لرسول الله أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة أيضا، وهو (ما نحل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن)، والنحل هنا يعني العطية.

وتجمع الجمهرة الكبرى من علماء السياسة على أن السلطة هي الركيزة الأساسية التي تدور حولها الدراسات السياسية.

وكما قدمنا، فإن السلطة إذا كانت تتمثل في رئيس للدولة، وحكومة تتعاون معه، بمختلف أجهزتها، فإنها من ناحية أخرى ذات مستويات ودرجات، وما دمنا نتحدث في مجال الأسرة، فإن مستوى السلطة الذي نعنيه هنا هو سلطة الوالدين، فمن هنا ينبت مفهوم السلطة لدى الأبناء، ويبدأ التعامل معها، وإدراك علاقاتنا بها، ومن ثم فإن حسن التأسيس لمفهوم السلطة وممارساتها في سنوات الطفل المبكرة، له أثره الذي لا شك فيه على ما سوف يواجهه الطفل خارج المنزل من مستويات متدرجة من السلطة وكيفية التعامل معها..

وفي المجتمعات الإسلامية فإن السلطة عادة ما تكون بيد الأب إذا كان على قيد الحياة، سواء على الأبناء أو الأم. وللأم أيضا سلطتها على الأبناء، لكنها عادة ما تجئ في درجة تالية من سلطة الأب.

هنا كثيرا ما يلتبس الأمر لدى كثيرين، حيث يفهمون من تقرير القوامة بنص القرآن للرجل أن يكون له الرأي كله، وأن يكون له وحده القرار، لكن ينسى هؤلاء الوعي بأمرين: أولهما، صناعة القرار، والآخر، اتخاذ القرار.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فصناعة القرار مرحلة تسبق بالضرورة اتخاذ القرار، وفيها يكون جمع المعلومات وبحثها والتفكير فيها، وتأمل البدائل المختلفة، وتقدير السلبيات والإيجابيات لهذه الخطوة أو تلك، وهنا يكون " التشاور " أمرا ضروريا، وعندما نقول " التشاور " فهذا يعني " المشاركة " بين كل أفراد الأسرة، وفقا لمستوى القرار المراد اتخاذه ونوعيته.

فإذا كانت النية منعقدة على القيام " بنزهة " ما في يوم عطلة، أو زيارة لأسرة قريب أو صديق، فلا ينقص من القوامة أبدا أن تتم مشاورة الأم والأبناء.

لكن بالنسبة لمرحلة اتخاذ القرار، فلابد أن يتخذه شخص واحد، ويكون هنا هو الأب، أو الأم لو كان الأب غائبا.

إن هذا من شأنه أن يغرس في نفوس الأطفال أهمية وجود سلطة، وأن هذه السلطة لابد أن تكون بيد شخص بعينه، لكن هذه السلطة، فيما تتخذ من قرارات ينبغي أن تتشاور مع الذين ينطبق عليهم القرار، ومن المحتمل من خلال هذا التشاور أن يكون الرأي المرجح هو رأى الأم، وقد يكون رأى ابن من الأبناء صغيرا كان أو كبيرا.

وعلى الرغم من أن السلطة الكلية معقودة للأب، لكن هذا لا يعني أن كل صغيرة وكبيرة لابد أن تكون بيده هو، إذ لابد من توصيف لمجالاتها واختصاصاتها ثم الحرص على توزيع هذه الاختصاصات، فهناك على سبيل المثال الاختصاص الخاص بالإنفاق، وهو مسئولية الأب بالدرجة الأولى، لكن الأم بدأت منذ عدة عقود تخرج للعمل وتحصل على أجر، وتسهم به في نفقات الأسرة. وقد تختلف الأسر حول من يتولى أمر الميزانية، وهنا يمكن الاتفاق على الخطوط العريضة لتوزيع بنودها وأوجه الإنفاق، ثم يوكل الأمر للأم غالبا بتولى المهمة التنفيذية.

وهناك جوانب خاصة برعاية الطفل قبل المدرسة بصفة خاصة، من حيث المأكل والمشرب والملبس معظمها تتولاها الأم.

والأبناء لابد أن يتدربوا على ممارسة شكل من أشكال السلطة، ومستويات لها، وأبسط ما يساق هنا مثلا، أن يتولى الطفل أمر ملبسه من حيث ارتدائه، وخلعه، وترتيبه، ووضعه في المكان المخصص له، وكذلك ترتيب المكان الذي يعيش فيها، إن كان غرفة مستقلة، فإن كانت مشتركة، يكون لكل مقيم فيها أن يتولى الأمر دوريا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن كل هذا وذاك من شأنه أن يجعل الطفل يدرك أن السلطة – مرة أخرى – على الرغم من انعقادها لشخص واحد، لكن " المشاركة " مقوم أساسي لا تقوم بدونه، لأن هؤلاء الصغار سوف يتولون بدورهم، فيما بعد، سلطة، وما لم يدربوا على ممارسة بعض أشكالها، فسوف لا يحسنون القيام بها، ولأن المشاركة على درجة عالية من الأهمية في التربية السياسية كان من المهم أن نفرد لها جزءا خاصا قائما بذاته.

الأسانيد الشرعية لسلطة الوالدين على الأبناء:

تتعدد آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ في تقرير حق الوالدين، الأب والأم في توجيه الأبناء وتربيتهم، فمن ذلك:

- قوله سبحانه وتعالى (قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم غافلون) يوسف / ١٣
- وقوله (قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين) يوسف / ٦٤
- وقال (لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به غلا أن يحاط بكم فلما أتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل) يوسف / ٦٦

فهذه الآيات القرآنية أوضحت أن نبي الله يعقوب عليه السلام قد خشي على ابنه يوسف في المرة الأولى من الذهاب مع إخوته ليلعب عندما طلبوا منه ذلك فرفض لعلمه بأنه موضع غيرة منهم، لكنه لم يظهر هذا لهم حتى لا يجرح مشاعرهم وتعلل بأنه لا يريد فراقه، فضلا عن خشيته من اعتداء الذئب عليه أثناء انشغالهم باللعب، فلما ألحوا عليه ووعدوا بأنهم سيحافظون عليه تركه يذهب معهم، فحدث ما حدث.

وفي المرة الثانية طلبوا أن يصحبهم أخاهم بنيامين حيث أن حاكم مصر منع عنهم الطعام إلا إذا جاءوا به غليه، فرفض يعقوب إلا بعد أن أخذ عليهم العهد والميثاق بإرجاعه إلا إذا أحيط بهم جميعا.

فهنا نجد حق الأب في ممارسة سلطته على أبنائه من أجل توفير الرعاية والحماية لهم والأمن.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- ويقول عز وجل: (وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شئ إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) يوسف / ٦٧، فالأب هنا يوجه أبناءه ويرشده إلى سبل السلامة والأمن.
- وقال سبحانه وتعالى (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما ءاتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير) البقرة / ٢٣٣

ففي هذه الآية الكريمة تصنيف لسلطة الوالدين، فالأم تقوم بالإرضاع لفترة محددة، وتقرير حق المولود بأن ينفق عليه، وذلك في حدود الإمكانات المتوافرة، وأن يكون ذلك من قبل الأب، من بعد الولادة حتى البلوغ، وإذ يتشارك الوالدان في أمر الطفل بهذه الصورة، تكون لهما سلطة عليه في التربية والتنشئة والتوجيه، حيث أن الأمر ليس مجرد رعاية جسمية ومادية، وإنما هو – بالإضافة إلى ذلك – أمر توجيه وتربية وإرشاد.

وأشارت أحاديث ومواقف نبوية إلى اهتمام رسول الله ﷺ بحسن تربية الأبناء وتنشئتهم، فمن ذلك ما رواه عمر بن أبي سلمة قال: " كنت غلاما في حجر رسول الله، ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصفحة، فقال لي رسول الله: يا غلام سم الله، وكل بيمينك،وكل مما يليك "، فما زالت تلك طعمتي بعد "، فيما أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة في صحيحه.

فهنا نجد عمر بن أبي سلمة يشير إلى توجيه رسول الله له وتأديبه له بآداب الطعام، حتى صار ما قال به رسول الله صفة أكل عمر. وهنا أيضا نتنبه إلى امتثال عمر لتوجيهات رسول الله وتأديبه (محمد عبد الله العبد: مدى سلطة الآباء على الأبناء في ميزان التربية الإسلامية والتربية الوضعية، رسالة ماجستير، كلية الشريعة، بجامعة اليرموك، ٢٠٠٢، ص ٢٤).

ومن ذلك أيضا ما رواه معاذ حيث قال أن رسول الله ﷺ قد أوصاه بعشر مبادئ تشكل في جملتها توجيها تربويا على درجة عالية من السمو الرفعة الأخلاقية والدينية، قال: " لا تشرك بالله شيئا وإن قتلت وحرقت. ولا تعقن والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك. ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدا، فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله. ولا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تشتموبن خمسوا، فإنه رأس كل فاحشة. وإياك والمعصية، فإن بالمعصية حل سخط الله عز وجل. وإياك والفرار من الزحف وإن هلك الناس. وإذا أصاب الناس موتان وأنت فيهم فاثبت. وانفق على عيالك من طولك. ولا ترفع عنهم عصاك أدبا. وأخفهم في الله "، فيما رواه أحمد في مسند الأنصار ٢٣٨/٥

المشاركة السياسية:

ولعل أهم ما تقوم عليه المشاركة السياسة هو تربية الطفل على الإحساس بالمسئولية العامة، خاصة وأن نصوص الإسلام القرآنية والنبوية تؤكد على هذا الركن، ويتضح لنا هذا من قول المولى عز وجل: (تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شئ قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور) الملك / ١-٢

فالحياة الدنيا دار اختبار، مما يوجب توافر القدرة على تحمل المسئولية، والوعي بأهدافها، والتمرس بواجباتها وذلك حتى يسهم المسلم في إقامة الدين، والفوز برضا الله عز وجل والبعد عما يستوجب غضبه (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة) التحريم / ٦.

ويبلغ اهتمام الإسلام بالتأكيد على قيمة المسئولية العامة حديث رسول الله الذي سبق أن عرضنا له (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)، فتعديده ﷺ لأطراف مختلفة، ومستويات متباينة يؤكد أن الأمر هنا هو أمر جماعي كلي، نتشارك فيها جميعا، كل على حسب طاقته، وكل على حسب مستواه في العلاقات والمواقع والمراكز الاجتماعية.

وهنا يمكن للوالدين أن يؤسسا لهذه المشاركة عن طريق تلك الجوانب التي أشار إليها سيد عثمان (المسئولية الاجتماعية والشخصية المسلمة، القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٧٩، ص ص ٤٤-٥٠):

- الفهم، فإشعار الطفل بأنه جزء من الأمة يستوجب فهم الأمة وتعلم الكثير مما يتصل بها، من حيث نشأتها، وتطورها، وواقعها، وظروفها، ومشكلاتها، ومؤسساتها، وصراعاتها، دون أن يعني هذا أن يتم مرة واحدة، وإنما بتدرج.
- الإحساس فإذا كان الفهم متعلقا بالجوانب المعرفية فإن " الإحساس " يعني التواصل الوجداني، فلا نكتفي بأن " نُعرف " الأبناء بكذا وكذا مما يتصل بالأمة، وإنما لابد من أن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ينفعلوا بهذا الذي يعرفون، إن كان مسرا أو محزنا. وأمر مثل، من غير شك لا يتأتى بنصيحة وأمر، وإنما هو بقدوة وتمثيل.

- ثم هناك " الفعل "..والعمل، والحركة والتنفيذ، بالتطوع في القيام ببعض الأعمال المدرسية المشتركة، أو ما يتصل بالمنطقة التي توجد فيها المدرسة أو تلك التي تعيش فيها الأسرة.

كذلك فإن تربية الطفل المسلم على الإحساس بالمسئولية تقوم أيضا على غرس الإيمان بإلهية الثواب والعقاب، فالمسلم إذ يكرس جل وقته وجهده وإمكاناته للمشاركة في خير الأمة يفعل ذلك -- أو هكذا المفروض -- لا إرضاء لسلطان أو اتقاء لغضبه، ولا انتظارا لأجر من هذا وذاك -- وإن كان ذلك مهما في كسب الرزق الذي تقوم به حياة الفرد -- وإنما ابتغاء الأجر من الله أو اتقاء لغضبه، يقول سبحانه وتعالى (وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين) الشعراء / ١٠٩، ويقول أيضا: (إن أجرى إلا على الله وهو على كل شئ شهيد) سبأ / ٤٧

وعندما تقوم التربية على مثل هذه القاعدة الإيمانية فإنها تسهم إلى حد كبير في ترسيخ الشعور بالمسئولية العامة وتنشئة الإنسان الإيجابي الملتزم بالصدق، الذي لا يلهث وراء هذا وذاك أملا في مغنم أو اتقاء لمغرم. إنه بهذه الروح يعزز شعوره بالحرية، إذ يتحرر من الخضوع لآخرين في مجال ابتغاء الأجر، ما دام لا يخضع إلى لله الذي عنده خير الجزاء.

وتربية الطفل على المشاركة تقف على طرف نقيض من أسلوب السخرة الذي يتجلى في القهر على أنواع معينة من العمل الممتزج بالاستغلال وسوء التوجيه والقيم السلبية، ذلك أن تنظيم المشاركة على أساس اندفاع المشارك ذاتيا ثم منح المشارك حرية اختيار المجال الذي يشارك فيه، مع منحه حرية التفكير والتعلم والاستفسار والإجابة والتمحيص في التقويم والإقبال والإدبار والرفض والغضب والتأييد والمعارضة، وكل ذلك يعمق لديه قيمة الحرية في المشاركة، ويشعره بكرامته من خلال إدراكه أنه يشارك من تلقاء نفسه وليس مسخرا بقوة السلطة (على حسن على القريشي: دراسة تحليلية لمقومات التربية السياسية في ضوء القرآن والسنة، رسالة دكتوراه، كلية التربية بجامعة عين شمس، ١٩٨٦، ص ٢٨٣).

وتعزيزا لمشاعر المسئولية لدى الطفل من المهم تدريبه على المشاركة في أعمال تقوم على أسلوب التسيير الذاتي وهو أسلوب في الإدارة (أيا كان مستوى العمل: بسيطا كما نرى في بعض الأعمال المدرسية أو معقدا كما نرى في المؤسسات الكبرى) يعنى أن تقوم مجموعة من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأفراد بتشغيل بعض الأنشطة في إطار من الإشراف من قبل إدارة المدرسة، وهذا الأسلوب هو لـــون مـــن ألـــوان إدارة العمـــل الذي يتسق مع الطبيعة الشعبية والجماعية للنظام السياسي الإسلامي.

وإتباع هذا الأسلوب يساعد على تنمية الشعور بالمسئولية لدى الأفراد ويقوى لديهم الاتجاه إلى الاضـــطلاع المباشر بالأعباء العامة، كما أنه يساعد على استنبات دوافع الحرص والاجتهاد والتحســـين في الأداء والجـــودة في العمل والسرعة في الإنجاز لدى الإنسان المسلم منذ نعومة أظفاره (المرجع السابق، الصفحة نفسها).

والمتأمل في قوله سبحانه وتعالى (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا) الأحزاب / ٧٢ يجد أن الإسلام مـــنذ اللحظات الأولى حمّل الإنسان رسالة كبرى في هذا الكون، رسالة تعمير الأرض وتنميتها، رسالة الخلافة والعبادة مما يعنى ضرورة التركيز على تدريب الطفل على تحمل المسئولية.

حقوق الإنسان عامة والطفل خاصة:

وإذا كـــان من الضروري تربية الطفل المسلم على حسن التعامل مع السلطة والطاعة لها فيما تصـــدر من قوانين وتقرره من واجبات، وإذا كان عليه أن يشارك ويتحمل المسئولية، فإن هذا وذاك مما يحتاج بالضرورة إلى عدم تفريط المسلم في الوعي بما له من حقوق، يؤدى التمسك بها والحـــرص عليها والدفاع عنها إلى تعزيز مشاعر العزة لدى المسلم والإحساس بالكرامة وقيمة الذاتية الشخصية، فتتفجر لديه طاقات العمل والإيجابية.

يقـــول الله تعالى في قرآنه الكريم (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعـــل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعـــلمون. وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صـــادقين. قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم. قال يا آدم أنبئهم بأسمـــائهم فـــلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تـــبدون وما كنتم تكتمون. وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) البقرة / ٣٠– ٣٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تحمـــل هذه الآيات القاعدة الأساسية لحقوق الإنسان في الإسلام، فالله سبحانه وتعالى يكرمه بأمر الملائكة بالسجود له، ويهبه أعلى القدرات وأمضاها مما يتيح له فرصة الاستفادة القصوى من العديد من عناصر الكون التي سخرها الله عز وجل له.

وظاهر كذلك أن مبدأ المساواة الذي أكدته العقيدة الإسلامية، سعيا إلى إعادة النظر في نظام الطـــبقات، نـــابع من عقيدة التوحيد ذاتها، ذلك أن الذي تعنو له الوجوه هو قيوم السموات والأرض وحـــده، وأن البشـــر قاطبة ينتظمهم سلك العبودية المطلقة لله وحده (إن كل من في الســـموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا. لقد أحصاهم وعدهم عدا. وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) مريم / ٩٢-٩٥

وخـــالق البشر زودهم بقوى مختلفة ومواهب شتى ليختبر كل امرئ منهم فيما آتاه، وليسأله يـــوم القيامة ماذا عمل به فليس صاحب السلطة في هذه الحياة الدنيا رجلا محظوظا شاءت له الأقدار أن يتحكم، ولا صاحب الثروة رجلا كذلك شاءت له الأقدار أن يتمتع، فكلا الرجلين في موضـــع اختبار للنجاح والفشل كأي إنسان آخر مؤاخذ أو مثاب وفق استقامته أو عوجه، وعمله موضع الملاحظة الدقيقة من الله ومن الناس، قال تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعلمون) التوبة / ١٠٥

وأبرز حق للإنسان يجب تعليم الطفل المسلم إياه والحرص عليه هو حق الحياة، ومن هنا تأتي آيات القرآن تؤكد حرمة الحياة تحرم من يعتدي عليها بشدة وتعده بأشد ألوان العذاب في الدنيا والآخـــرة (جعفر عبد السلام: الإسلام وحقوق الإنسان، رابطة الجامعات الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٧٩)، يقول سبحانه وتعالى: (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلك وصاكم به لعلكم تعقلون) الأنعام / ١٥١

وقـــال: (والذيـــن لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يـــزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاما. يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا) الفرقان / ٦٨-٦٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقـال: (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) المائدة / ٤٥

وهكـذا فـتح الإسـلام نافذة الخير أمام الإنسان بحفاظه على صيانة النفس، وحماية الذات البشرية لأنه يحب السلام ويقدسه، ويحبب الناس فيه، وهو بذلك الطريقة المثلى لتعيش الإنسانية متجهة إلى غايتها من الرقى والأمن (المرجع السابق، ص ٨٠).

ولم تقـف شـريعة الإسـلام عند مجرد حق الإنسان في الحياة وإنما امتدت أحكامها لتكفل للإنسان أن يعيش حياته في أمان، فلا يعتدي عليه أحد ولا يعتدي هو على الآخرين وذلك تمشيا مـع المـبادئ التي أعلنها رسول الله ﷺ في عرفات في خطبته المشهورة في حجة الوداع: " إن دمـاءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا "، فيما أخرجه مسلم عـن جابـر بـن عبد الله، وقوله في مناسبة أخرى " كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه "، فيما أخرجه مسلم عن أبي هريرة.

إن هـذه الأحـاديث تبرهن على أن الشريعة الإسلامية كفلت حق الإنسان في أن يعيش في المجـتمع الإسلامي وهو آمن على نفسه وماله وعرضه، وهذا الأمن يجب أن يكون متبادلا بين الفـرد والجماعة، وأحكام الإسلام في ذلك تبلغ حد التوحيد بين المصلحتين لكفالة هذا الحق، وهـي في ذلك تضع الجزاءات والعقوبات المشددة لردع كل من تسول له نفسه الاعتداء على أمـن المواطـن وانتهاك حرماته (عبد النبي حسن عبد الوهاب: حقوق الإنسان وواجباته في الإسلام، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، سلسلة قضايا إسلامية، القاهرة، ٢٠٠٠، ج١، ص ٢٥).

...وهـناك حقوق أخرى نمسك عن تناولها في الجزء الحالي، حيث أن كثيرا منها متضمن فيما سبق من نقاط، وفيما سوف يأتي.

أمـا بالنسـبة لحقوق الطفل فهي وإن كان الخطاب بها موجه إلى الوالدين، فإن الالتزام بها يؤسس لمناخ أسرى صحي يحسن تربية الأبناء، ووعي الطفل عندما يكبر بأن والداه قد وفيا ما يجـب له من حقوق يغرس في نفسه ووجدانه أن يرد هذا للآخرين، بأن يراعى حقوقهم، سواء كانوا أفرادا من أقربائه وزملائه وأصدقائه أو كانت حقوق أمته عليه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن تلك الحقوق (الإسلام وحقوق الطفل، صفحات متفرقة):

- حقـــه قبل النطفة، بإحسان الوالدين اختيار أحدهما للآخر وفقا للمبادئ والشروط التي تحفل بها الأدبيات الإسلامية.
- حقه جنينا، من حيث مراعاة الأم الحامل جسديا ونفسيا.
- حقوقـــه مـــن بعد الولادة حتى الفطام في: التأذين في أذنه اليمنى والإقامة في اليسرى – التحـــنيك – العقيقـــة – حـــلق رأسه – التسمية الحسنة – الرضاعة الطبيعية – الفطام التدريجي غير المفاجئ – النفقة – إخراج الزكاة عنه – إثبات نسبه – الختان.
- ثم هناك حقوقه من الفطام إلى البلوغ، وهي تضمن النفقة الكلية الشاملة للسكن والملبس والمـــأكل والصـــحة والحماية والأمن والتعليم والتربية بكافة مجالاتها، عقائدية، وتعبدية، واجتماعية، وجسمية، وجنسية، وترويحية، ودعوية، وأخلاقية.

وقد أعلن المؤتمر الإسلامي التاسع عشر لوزراء الخارجية الذي انعقد في القاهرة في الفترة من ٧/٣١– ١٩٩٠/٨/٤ وثيقة لحقوق الإنسان في الإسلام، جاء فيه خاصا بالتربية والتعليم، في المادة السابعة:

أ– لكـــل طفل منذ ولادته حق الأبوين والمجتمع والدولة في الحضانة والتربية والرعاية المادية والصحية والأدبية، كما تجب حماية الجنين والأم وإعطاؤها عناية خاصة.

ب–للآباء ومن يحكمهم الحق في اختيار نوع التربية التي يريدون لأولادهم مع وجوب مراعاة مصلحتهم ومستقبلهم في ضوء القيم الأخلاقية والأحكام الشرعية.

ت–للأبوين على الأبناء حقوقهما وللأقارب حق على ذويهم وفقا لأحكام الشريعة.

أما في المادة التاسعة، فقد جاء:

أ– طلب العلم فريضة، والتعليم واجب على المجتمع والدولة، وعليهما تأمين سبه ووسائله، وضـــمان تـــنوعه، بما يحقق مصلحة المجتمع، ويتيح للإنسان معرفة دين الإسلام وحقائق الكون وتسخيرها لخير البشرية.

ب–مـــن حـــق كـــل إنسان على مؤسسات التربية والتوجيه المختلفة من الأسرة والمدرسة والجامعة وأجهزة الإعلام وغيرها أن تعمل على تربية الإنسان دينيا ودنيويا تربية متكاملة ومتوازنة، تنمي شخصيته، وتعزز إيمانه بالله واحترامه للحقوق والواجبات وحمايتها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سنة الاختلاف وأدب الحوار:

فالحياة السياسية تقوم على التعددية، وقيام أحزاب تمثل توجهات مختلفة وتيارات فكرية متعددة، يثور بينها تنافس صحي لتولي السلطة أو تصحيح مسارها، وهذا يستلزم أن يسعى الوالدان إلى تعميق وعي الطفل بأن الاختلاف والتعددية سنة ممن سنن الله في خلقه (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) هود / ١١٨-١١٩، إذ من شأن هذا الإيمان ألا يقابل من يختلف معه في الرأي أو التوجه بتشنج وعصبية، وإنما يجادله بالتي هي أحسن، ويكون على استعداد أن يتنازل عن رأيه إذا بين له الآخر خطأه أو يعدله إذا بينت المناقشة عدم صحة بعض جوانبه.

وإذا كانت الإنسانية والبشرية قد بدأت بآدم وحواء – أمة واحدة، في الدين والشريعة – فإن تحول هذه الأمة الواحدة إلى أمم قد اقتضى التعددية في شرائع الرسل بتعدد أمم الرسالات، فكانت سنة التعددية منذ فجر تاريخ الإنسان (فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) البقرة / ٢١٣

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد (خلق كل شئ فقدره تقديرا) الفرقان / ٢ (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور) الملك / ٣، فإن هذا الاختلاف والتنوع الذي فطر الله الناس عليه قد جاء لحكم إلهية بالغة لأنه هو الحافز – بالتعدد والتنوع – للفرقاء المختلفين على التنافس والتدافع والاستباق، انتصارا من كل فريق لما يتميزون به، وما فيه يختلفون عن الآخرين، ولو لم تكن هذه التعددية وهذا التنوع والاختلاف لما كانت حوافز الاستباق ودواعي التدافع وأسباب التنافس بين الأفراد والأمم والأفكار والفلسفات والحضارات، ولكانت الحياة سكونا آسنا، ومواتا لا حيوية فيها، ولما استطاع الإنسان تحقيق مقاصد الأمانة التي حملها بالاستخلاف لاستعمار الأرض وعمران الوجود.

وفيما يتصل بالأديان السابقة فإن الإسلام يعتبر الإيمان بأنبياء الله السابقين على محمد ﷺ عنصرا أساسيا في عقيدة المسلم، وهذا ما يشير إليه القرآن في وضوح تام (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) البقرة / ١٣٦، فالموقف الإسلامي إزاء الأنبياء جميعا هو عدم التفريق بين أحد منهم، وتلك صورة في التسامح الديني لا مثيل لها لدى أتباع أي دين من الأديان.

فالإيمان بالتنوع والتميز والاختلاف هو الحافز على الإبداع والتدافع في ميادين التقدم والعمران والارتقاء، بينما الاعتقاد بوحدة النموذج الفكري والحضاري هو باب الاعتقاد بوحدة النموذج الفكري والحضاري هو باب التقليد والتشبه، ومن ثم السكون وذبول مواهب وقدرات الإبداع المفضي إلى الموات (محمد عمارة: الإسلام والتعددية، دار الرشاد، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٢٧): قال عز وجل (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما أتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) المائدة / ٤٨

إن هذا يدفعنا إلى ضرورة أن يقوم الوالدان بتدريب الأبناء على حسن الحوار والتزام الرشد في مواجهة مظاهر الاختلاف، وهنا نقترح عليهما بتربية الطفل على بعض الآداب التي ينبغي أن يلتزم بها الحوار بين المختلفين (عوض بن محمد القرني، دار الأندلس الخضراء، جدة، ١٤١٥، ص ٧٩):

- الإخلاص ومحاولة التجرد من الهوى، ذلك أن الإخلاص شرط لقبول العمل، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) الكهف / ١١٠، فلا يكون القصد من الحوار والمناقشة حب الظهور والغلبة والانتصار للنفس، لأنه كما ورد أن من طلب هذا العلم ليجادل به العلماء أو يمارى به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه، لم يجد رائحة الجنة، فيما رواه الترمذي.ومن مظاهر الإخلاص أن صاحبه لا يبالي أظهر الحق لديه أو لدى مخالفه، فهو يقبل به من أي كائن كان، حتى ولو كان أصغر منه، وكما قال عمر " أصابت امرأة وأخطأ عمر ".
- رد الأمر عند الاختلاف إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومؤدى هذا أن يكون الكتاب والسنة هما المحك المرجعي في حسم الاختلاف، مصداقا لقوله تعالى (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول) النساء / ٥٩
- الإحاطة بموضوع الحوار، فمن عناصر الحوار الإلمام بالموضوع الذي يجرى فيه واستيعاب الفكرة التي يحوم حولها ويجرى فيها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- إحسان الظن بالمخالف وعدم اتهامه في نيته والطعن والتجريح في شخصه (المرجع السابق، ص ٨٣)، فالأصل أن الخلاف بين المسلمين لكل منهما على الآخر حقوق لا يذهب بها ولا يسقطها الاختلاف بين الطرفين في قضية من القضايا، قال ابن تيمية: " لو كان كل ما اختلف عليه مسلمان في شئ تهاجرا لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة... " (المرجع السابق، ص ٨٦).
- ويدخل في هذا أيضا مراعاة شخصية الطرف الآخر في الحوار، وإيجاد الأجواء المناسبة له بغية التأمين للوصول إلى الهدف المنشود، وذلك بنبذ التعصب والانفعال سواء كانت فكرة الطرف الآخر وموقفه مؤيدة أو معارضة.
- التزام الحوار بالتي هي أحسن، وفقا لقوله تعالى (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن) العنكبوت / ٤٦، وقوله (وجادلهم بالتي هي أحسن) النحل / ١٢٥. والجدال بالتي هي أحسن يتمثل في الاعتماد على الأدلة المنطقية والبراهين العقلية والنصوص الشرعية، والبعد عن استخدام الألفاظ المعيبة، مع الصوت غير الزاعق، والهدوء النفسي الذي يبتعد عما يروع الآخر. والإشارة إلى جدال أهل الكتاب يؤكد على أن المسلم لا يخاصم الآخر لأنه يختلف عنه عقيديا أو حضاريا.

إن من المهم للغاية الوعي إلى أن الاختلاف الأهوج والهوى الغالب يمكن أن يتطور ويتضخم وتتعمق أخاديده في القلوب فيسيطر على الشخص ويتملك عليه حواسه وعقله حتى ينسى معها المعاني الجامعة والكليات العامة، والصعيد المشترك والغايات والمقاصد والقواعد الأصيلة للإسلام، فيعدم صاحبه البصيرة والإبصار وينسى أبجديات الخلق الإسلامي فتضطرب الموازين وتختل الرؤية وتختلط الأوراق وتختفي الأولويات ويسهل القول بغير علم والفتوى بغير نور والعمل بغير دليل، وينتشر التكفير والتفسيق والاتهام، نعوذ بالله من كل هذا (طه جابر فياض العلواني: أدب الاختلاف في الإسلام، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن، ط٣، ١٩٨٧، ص ١٣).

وعلى الوالدين أن يستوعبا ما تقول به الدراسات النفسية من أن اكتشاف الذات وفهمها يمر حتما بتجربة التعايش مع الآخر، وهذا الآخر يمثل دور المرآة العاكسة، وقد وضح بعض العلماء أهمية طور المرآة في تكوين الذات، فالطفل يلعب أما المرآة بالصورة التي تشكل عليها، وعندما

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يدرك أنهما صور وليست أشخاصا واقعيين وأن بين هذه الصور واحدة هي له، فإنه يتأمل مفتونا تلك التي تطمئنه على وحدته الجسدية، ويستبق بفضلها رسما لجسمه، وبالتالي فهي تدعم لديه على أساس مرئي مفهوم ذاتيته وهويته.

بيد أن هذا الطفل يلتفت دائما وفي كل الحالات إلى الأم، إلى الآخر، لينتزع منها اعترافا بأن هذه الصورة المنعكسة من المرآة هي صورته هو، فالطفل يرى نفسه دائما بأعين الآخرين، فدون الآخر المرغوب والمرهوب في آن واحد يتحول كل منا إلى وحش إذا استطاع ضمان بقائه، ذلك أن الإنسانية اكتساب ثقافي وليست إرثا بيولوجيا (إقبال الغربي، في: أدب الاختلاف، ص ٢٤٤)

تعزيز الهوية العربية الإسلامية:

فالعالم الإسلام يواجه اليوم حربا غير معلنة، تتنوع فيها الأسلحة، فمنها ما هو عسكري بكل ما تعرفه الحروب الحديثة من وسائل تخريب وتدمير وقتل، كما رأينا في كل من أفغانستان والعراق، تلك الحرب المغطاة بدعاوى الحرب على الإرهاب، إلى عديد من الأسلحة الأخرى غير العسكرية مثل أجهزة الإعلام، والضغوط السياسية، والتدخل في مناهج تعليم الدين الإسلامي، وتجفيف ينابيع العديد من مصادر التمويل التي كانت تغذى الكثير من الأنشطة الدعوية والخيرية الإسلامية.

وفضلا عن كل هذا وذاك، فهناك طوفان العصر الشهير ألا وهو العولمة التي تسعى إلى اكتساح الخصوصيات الثقافية للأمم الضعيفة والمتشرزمة، وفي مقدمتها مع كل الأسف والأسى، الأمة الإسلامية عامة، والأمة العربية خاصة.

هنا يصبح من أولويات التربية السياسية للأطفال العمل بكل السبل للوعي بالمقومات الأساسية للهوية، والانتقال من مرحلة الوعي الفكري إلى مرحلة الحركة والتطبيق.

والهوية هي الصفات الجوهرية التي تميز الأمة عن غيرها من الأمم. إنها " البصمة " الممثلة للقدر الثابت والجوهري والمشترك من السمات العامة التي تميز شخصا ما عن غيره، أو أمة عن غيرها، أو حضارة عن غيرها من الحضارات، إنها النواة، وهي الجوهر (محمد عمارة: الاستقلال الحضاري، دار الوحدة، بيروت، ١٩٨٦، ١٨٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومع الأسف الشديد فقد كان من نتيجة إسراف العقل الإسلامي في المحاكاة والتقليد، وفقره إلى الإبـداع والـتجديد، أن القطاع الأكبر من مثقفي هذه الأمة ومفكريها، وقعوا فريسة " للانقسـام الحاد "، وليس " التنوع " حول هوية الأمة: أهي إسلامية أم عربية " أم غربية؟ أهي ماضوية تراثية؟ أم ماضوية ومعاصرة؟ أم أن " الحداثة " – التي تقطع الصلات بالموروث – هي مذهبها وطريقها؟

وحتى بين التراثيين الماضويين، هناك انقسام حاد حول: أي ماض وأي سلف ننطلق من ميراثه ونسترشد بآثاره؟ أهو سلف عصر الازدهار والتراجع هي الأخرى موضع خلاف بين التراثيين الماضويين؟ أضف إلى ذلك خلافهم حول دور العقل ومقامه في التعامل مع الموروث.

والحق أن الوالدين يستطيعا أن يربيا الطفل على أن الإسلام منذ أن تدينت به أغلبية هذه الأمة قد أصبح هو الهوية الممثلة لأصالة ثقافة هذه الأمة، فهو الذي طبع ويطبع وصبغ ويصبغ ثقافتها بطابعـه وصـبغته، فعاداتهـا وتقاليدهـا وأعـرافها وآدابها وفنونها، وسائر علومها الإنسانية والاجتماعية، وفلسفة علومها الطبيعية والتجريبية، ونظرتها للكون والذات وللآخر، وتصوراتها لمكانـة الإنسـان في هذا الكون، من أين أتى؟ وإلى أين ينتهي؟ وحكمة هذا الوجود وغايته؟ ومعايير المقبول والمرفوض، والحلال والحرام في المسيرة الحياتية لإنساننا، كل ذلك – وما ماثله – قـد انطـبع بطابع الإسلام واصطبغ بصبغته، حتى لنستطيع أن نقول، ونحن مطمئنون كل الاطمئـنان: إن ثقافتنا إسلامية الهوية، وأن معيار الدخول والخروج في ميدان ثقافتنا، والقبول والرفض فيها، هو المعيار الإسلامي (محمد عمارة: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٦).

وإذا كـان أهم مكونات الهوية المميزة للأمة العقيدة الإسلامية، يصبح من المهم أن يسعى الوالدان إلى التأكيد – سلوكا ومعرفة – للطفل على أن الإسلام جاء ليقيم حياة جديدة للناس على أسس غير مسبوقة، ودعاهم إلى استجابة إليه لبناء هذه الحياة، كما في قوله تعالى " (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) الأنفال / ٢٤، وأهمية هذه الآية تنبع من بيانها حقيقة ما يطلق عليه " المشروع الحضاري الإسلامي " الذي يشكل منهجا لتقدم النوع الإنساني والرقي فيه في مجالات الحضارة، كما قال سبحانه وتعالى (نذيرا للبشر لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) المدثر / ٣٦-٣٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعناصـــر البـــناء الاجتماعي هي الإنسان والطبيعة والزمن والعلم والعمل، ودور المشروع الحضاري الإسلامي هو أن يقترح أسلوب التفاعلات وإطارها العام بين هذه العناصر من جهة، كمـــا يقترح طريقة ممارسة الحياة من جهة ثانية، وهذا وذاك يتمان على أساس ما تقدم العقيدة الإسلامية والشريعة من تصورات وأحكام (محمد عبد الجبار: الإسلام والديموقراطية في معركة البـــناء الحضـــاري، في الكتاب المشترك بينه وبين عبد الرزاق عيد: الديموقراطية بين العلمانية والإسلام، دمشق، دار الفكر، ١٩٩٩، ص ١١٢).

كذلك فإن العروبة، بالنسبة لهذه الأمة، هوية، لأنه على مر العصور، ومنذ أن اندمجت هذه الجماعـــة البشـــرية، بالتعريب، في هذه الأمة الجديدة، تعرب البشر، وأصبح ولاؤهم للعروبة، بالمعنى الحضاري وليس بالمعنى العرقي والعنصري.

وهـــذه العـــروبة، التي اتسعت دائرتها، وزاد عمقها، قد عاشت وصمدت لكل التحديات، فالممـــاليك والعـــثمانيون، قـــد حكمونا قرونا زادت عن القرون التي حكم فيها العرب الذين سبقوهم، وفي ظل حكمهم ظهرت دعوى التفرقة بين " العروبة " و " الإسلام "، عندما زعمت السلطة أن العروبة تتناقض مع الإسلام، ومع ذلك فقد وجدنا هوية العروبة تكمن صادمة أمام العديد من التحديات (المرجع السابق، ص ١٩٢).

هنا يبرز تعليم اللغة العربية والتعليم بها كمطلب أساسي لتعزيز الهوية.

ولا شك أن قدرة الطفل، وهو ينمو على تعلم لغة مجتمعه، ونشأته على التفكير والتعبير بها، والتواصـــل بهـــا مع الآخرين، وتبادل الخبرات بواسطتها، إنما هي الأساس لأنماط السلوك التي تؤلـــف ثقافة ذلك المجتمع، وتيسر انتقالها من جيل إلى آخر باستمرار، فعن طريق اللغة يستطيع الإنســـان أن يستوعب خبرات الآخرين ويستثمرها، من دون اشتراط أن يمارس تلك الخبرات ذاتها، ويكشف تحليل اللغة عن التنظيمات الاجتماعية السائدة وأنماط العلاقات القائمة فيها، بما فيها علاقات النسب والقرابة، وعلاقات الجنس بين الذكر والأنثى، وعلاقات العمل وما يشتمل عـــليه من أنواع الحرف والمهن والصناعات، وعن طريق اللغة يتم استيعاب القيم السائدة وما تشتمل عليه من المواقف والاتجاهات تجاه الخالق والكون والحياة وما فيهما من موجودات، وتجاه الإنسان وما يتألف عنه من جماعات (عبد العزيز السام: العربية الفصيحة لغة التعليم في الوطن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العربي، في مركز دراسات الوحدة العربية: اللغة العربية والوعي القومي، بيروت، ط٢، ١٩٨٦ ، ص ٤٧).

لكننا نلاحظ بكل الأسف، تزايد انتشار التعليم بلغة أجنبية، وهي الإنجليزية بالدرجة الأولى، في سياق حالة الاستتباع والضعف التي تخيم على الأمة العربية، ويتم هذا بحجج مختلفة ليس عسيرا تفنيدها، لكن لا محل لهذا هنا، ويكفي أن نشير إلى أننا لا نملك في ظل الظروف الحاضرة أن ندعوا الآباء إلى مقاطعة هذا التعليم، ولكننا ننبه إلى إمكان أن يكون هناك جهد ذاتي للأسرة من حيث الحرص على استخدام اللغة العربية في التعامل اليومي بالمنزل، وتزويدهم دائما بقصص وكتب مخصصة للأطفال بلغة عربية فصيحة مبسطة، والأهم من هذا وذاك المداومة على قراءة القرآن الكريم.

ومن المهم أن يتنبه الوالدان إلى ضرورة تجاوز ما يبدو لدى البعض من جفوة بين المرجعية العربية والمرجعية الإسلامية، بحيث لا تكون هنا جفوة بينهما، ومن هنا الوعي بما أخذ يصبح معلما أساسيا في الفكر السياسي المعاصر الدعوة الملحة للإسلاميين والعروبيين لأن يتفقوا على مبدأ التقبل المتبادل للتصورات العامة لهم، وأن يتفقوا على ما يقتضيه هذا التقبل المتبادل من اعتراف بمدى التداخل في الأهداف ومدى ما يفيدهم ذلك من تغذية مشتركة، أما تصور الجماعة العربية أو الإسلامية دولة واحدة أو ولايات متحدة أو اتحاد دول أو جامعة دول أو جامعة شعوب، فهو متروك إلى حينه، كل ما يهمنا الآن أن ليس ثمة موقف نظري أو عقيدي يحول دون أي من الطرفين من قبول الشكل المناسب لأوضاع الجماعات في الظرف التاريخي الذي يطرح فيه هذا الأمر (طارق البشرى: العروبة والإسلام، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد ١٣٠، ديسمبر ١٩٨٩، ص ١٢).

وينبغي أن يعي الوالدان أن الدفاع عن الهوية الثقافية ضد مخاطر العولمة لا يتأتى عن طريق الانغلاق على الذات ورفض الآخر، فهذا تصحيح خطأ بخطأ، ومجموع الخطأين لا يكون صوابا، إنما يتأتى ذلك أولا بالفهم الواعي للقعيدة الإسلامية والسلوك الرشيد وفقا لها، وإعادة بناء الموروث الحضاري الإسلامي (حسن حنفي، وصادق جلال العظم: ما العولمة؟، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٠، ط٢، ص ٥٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كذلك يتأتى الدفاع عن الهوية الثقافية بكسر حدة الانبهار بالغرب ومقاومة قوة جذبه، وذلك بـــرده إلى حدوده الطبيعية، والقضاء على أسطورة الثقافة العالمية، فكل ثقافة مهما ادعت أنها عالميـــة تحت تأثير أجهزة الإعلام، فإنما نشأت في بيئة محددة وفي عصر تاريخي معين، ثم انتشرت خارج حدودها بفعل الهيمنة، وبفضل وسائل الاتصال.

ويمكن التخفف من غلواء العولمة ثالثا عن طريق قدرة الذات الإسلامية على الإبداع بالتفاعل مـــع ماضـــيها وحاضـــرها، بين ثقافتها وثقافات العصر، ولكن ليس قبل عودة الثقة بالذات الإســـلامية، وليـــس قبل التحرر من الانبهار بالآخر كنقطة جذب لها وإطار مرجعي لثقافتها (المرجع السابق، ص ٦١).

الحرية السياسية وحق المعارضة:

فما دام الناس مختلفي العقول والأفهام، وما داموا متنوعي الخبرات والقدرات، فقد اقتضت حكمة المولى عز وجل أن يأمر بإتاحة فرص ممارسة الحرية السياسية، والتي من أجلى مظاهرها أن يعي الطفل أن من حقه، خاصة عندما يبلغ درجات النضج العقلي والاكتمال التعليمي، أن يقف موقفا معارضا مما يطرح عليه من مواقف وآراء، وفقا لآداب وضوابط تجعل من المعارضة، بيانا لوجهة نظر أخرى، وتعديدا للرؤى، وسعيا نحو ضمان البعد عن الاستبداد بالرأي.

والحـــرية السياســـية هي التي يمنح بمقتضاها الحق لكل فرد عاقل رشيد أن يشترك في إدارة شـــئون الدولة ويرقب أعمال السلطة التنفيذية عن طريق انتخاب الممثلين انتخابا حرا، أو عن طريق الاستفتاء العام، فقد ذهب الإسلام في الأخذ بها إلى أبعد الحدود، حتى إنه ليقرر أن اختيار الخـــليفة نفسه موكول إلى المسلمين، وأن الخلافة الصحيحة هي ما كانت نتيجة بيعة حرة. ولم يكتف بذلك بل أوجب أيضا على السلطة التنفيذية ألا تبرم أمرا ذا بال من أمور الدولة إلا إذا رجعت فيه إلى المسلمين، وجعل هذه السلطة مسئولة أمامهم عن كل ما تعمله في حدود وظائفها العامة (على عبد الواحد وافي: حقوق الإنسان في الإسلام، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. سلسلة قضايا إسلامية، العدد ١٠٦، القاهرة، ٢٠٠٤، ط٢، ص ١٠٠).

ومـــن هـــنا كان ضروريا أن يغرس الوالدان في طفلهما قاعدة الشورى لنظام الحكم، وقد أوجب الله سبحانه وتعالى الشورى على الأمة في آيتين، ورد النص فيهما صريحا، على وجوب إتباع هذا المبدأ، فالنص الأول جاء في صورة أمر للرسول ﷺ. فمن باب أولى تكون أمته مأمورة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بـــه. والـــثاني بـــين أن من صفات المؤمنين السياسية أنهم يتصرفون في الأمور، ويقررون الآراء بالتفاهم والمشاركة، وتبادل الرأي: أي بالشورى، وهاتان هما الآيتان:

الأولى قولـــه عز وجل (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر) آل عمران / ١٥٩.

وفي تفسير هذه الآية قال صاحب الكشاف " في الأمر "، أي في أمر الحرب ونحوه، مما لم ينزل عليك فيه وحي، لتستظهر برأيهم، ولما فيه من تطييب نفوسهم، والرفع من أقدارهم.

الثانية: يقول فيها سبحانه وتعالى (فما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا، وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون. والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم، ومما رزقناهم ينفقون) الشورى / ٣٦-٣٨

فقـــد بـــين الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات الصفات السياسية التي تميز المؤمنين، أي الذين ســـيفوزون بالنعيم في دار البقاء، ويظفرون برضا الله، فمن هذه الصفات، مع الإيمان، التوكل عـــلى الله واجتناب كبائر الإثم، وإقام الصلاة..إلخ، ومن هذه الصفات أيضا أن أمرهم شورى بيـــنهم، وقـــد ذكرت عقب الصلاة وقبل الزكاة مما يدل على بالغ أهميتها (محمد ضياء الدين الريس، ص ٣٣٣).

ولكي يمارس المسلم حقه في الحرية السياسية، وخاصة إذا كان الرأي الذي يقول به معارضا لابـــد أن يتعود احترام العلم والتخصص، وهو ما عبر عنه الموروث الإسلامي بالقول (لا يُفتى ومـــالك في المدينة !)، والإسلام يعلم المسلم ألا يقف ما ليس له به علم، فلا ينبغي أن يقتحم الموضوعات بغير معرفة، أو يمارس الاختلاف على غير بصيرة (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) الحج / ٨، وهذا يعني أيضا أن على المسلم ألا يتورط في مناقشة أو معارضة اختيارات أو مواقف تتبناها السلطة، وهو على غير علم فيما يناقش أو يعارض فيه، فالجهل هنا يمكن أن يوقع صاحبه في الخطأ أو التجني، فالمعارضة عندما ينظر إليها من زاوية الأمر بالمعـــروف والـــنهي عن المنكر أو النصيحة أو التقويم يمكن لمن لا يقيم رأيه على معرفة ودراية وعـــلم وتخصص، أن يقع في انحراف بأن ينهى عن معروف ويأمر بمنكر!! (على القريشي، ص ٣٤٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومـــن هـــنا وجب على الوالدين أن يغرسا في طفلهما خلق الإنصاف عند المخالفة، فإذا ما خالف المسلم السلطة الشرعية ورأى أنها أخطأت أو قصرت في هذا الموضوع أو ذاك فيحسن به أن يضع الخطأ في حجمه والتقصير في حدوده دون زيادة أو مبالغة، وإلا سيفقد عدالة النقد التي هي أحد عناصر الموضوعية، ولقد علم على بن أبي طالب أتباعه السلوك السياسي العادل والموضـــوعي وهـــو يقيّم لهم مناوئيه السياسيين ومحاربيه من المسلمين، فحين سئل عن الخوارج أجاب إنهم قوم أرادوا الحق فأخطأوه.وحين سئل عن أهل الجمل – عائشة والزبير وطلحة: أهم مشـــركون –والعيـــاذ بالله –؟ أجاب: من الشرك فروا. أهم منافقون؟ أجاب: إن المنافقين لا يذكـــرون الله إلا قـــليلا. فمن هم إذن يا أمير المؤمنين؟ أجاب: إخوان لنا بغوا علينا (المرجع السابق، ص ٣٤٩).

التثقيف السياسي:

يمكن القول بأن الثقافة السياسية لأي مجتمع تتكون من الاعتقادات الفعلية والرموز التعبيرية والقيم التي تحدد الموقف الذي يعمل فيه الفعل السياسي. كما يمكن القول بأنها هي هذا الجانب مـــن الـــثقافة العامة للمجتمع والذي يتعلق بمعارف وآراء وقيم واتجاهات أفراد نحو السياسة والحكم.

ومن ناحية أخرى، فما دامت ثقافة المجتمع تشكل الشخصية بطابع مميز فمن المنطقي أن تغرس الـــثقافة السياســـية بالـــتالي في الشـــخص سمات تتصل مباشرة بالخضوع أو التحدي للسلطة والتمســـك إلى درجـــة الصراع والعنف بالحرية التي تتمثل في السلوك الفردي في كل المواقف الاجـــتماعية، وتتصـــل كذلـــك بدرجة احترام الفرد للقانون والالتزام به حتى ولو كان ضد مصلحته، وشدة مشاعره تجاه الوطن، والاهتمام بمشاكله والمشاركة في حلها والولاء له، فضلا عـــن أنها تغرس فيه تقبل الشخص الآخر واحترامه باعتبارها تعبيرا عن التمسك القوى بمبادئ حقـــوق الإنسان، وانعكاس كل ذلك على درجة شعوره بالاعتزاز بثقافته وبالوطن وبالعقيدة والاعـــتقاد في التنوع السلالي والثقافي والديني وما يفرضه مبدأ النسبية الثقافية من مبادئ وقيم واتجاهات ينعكس ذلك في مدى تقبله بمبدأ إن أي مكان يمكن أن يجمع في أي زمان كل الأوطان والأديـــان والسلالات والثقافات (عليه حسن حسين، والسيد أحمد حامد: الثقافة السياسية، بحث أنثروبولوجي في الواحات والنوبة، في مؤتمر الثقافة السياسية، م١، ص ٧١٤).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإذا كـــانت دراسة الثقافة السياسية في أي مجتمع أمرا مهما ومطلوبا من حيث أنها توفر أحد المفاتيح أو المداخل لفهم وتفسير كيف تتشكل وتعمل مختلف المؤسسات السياسية، فإن تعليمها للأبناء يصبح أكثر أهمية وإلحاحا في مراحل التحولات الكبرى، فقد تكون الثقافة السائدة عاملا مساعدا على إنجاز هذه التحولات، أو معوقا لها.

وكمـــا ســـبق أن أشـــرنا من قبل فإن أمتنا الإسلامية والعربية تمر في الوقت الراهن بمرحلة مضطربة، تشهد سلسلة من الاعتداءات المسلحة، وصورا من التدخل السافر والمستتر، وسعيا حثيثا لفرض نموذج حضاري على العقول، وضغوطا متعددة على متخذي القرار بما يتمشى مع مصـــالح قـــوى الـــبغي والهيمنة، وتحولا من نظام الاقتصاد الموجه لدى البعض إلى اقتصاديات الســـوق، ومن الشمولية إلى الديموقراطية، وتحولات وخطوات عالمية تسعى إلى عمليات دمج وتقريب وفصل وإبعاد، وفقا كذلك لمصالح القوى المهيمنة، والتعدد المذهل في الفضائيات، وهذا وغـــيره يجعل من مسئولية الأسرة في التثقيف السياسي للأبناء فريضة واجبة حتى لا يتركوا لهبا للقوى الأخرى المغايرة في محاولاتها المحمومة للاستيلاء على عقول شعوبنا.

وتواجهنا هنا صعوبة لابد من التنبيه إليها، ألا وهي أن عددا غير قليل من الآباء والأمهات قد لا يكونوا مؤمنين بالفعل بضرورة تثقيف أبنائهم سياسيا، وهو الأمر الذي ناقشناه من قبل، كما أنهم قد يكونون خالي الوفاض من الثقافة السياسية، اعتمادا على أن المدرسة تقوم بالفعل بشئ مـــن هـــذا من خلال بعض المقررات مثل التربية الوطنية، والتاريخ، والجغرافيا، والقراءة سواء بالـــلغة العـــربية أو اللغة الأجنبية التي يتم التعليم بها، وكذلك اعتمادا على ما تقوم به أجهزة الإعـــلام، وخاصـــة الإذاعة والتلفزيون، وهنا نرد القارئ إلى ما سبق أن قدمناه عن مسئولية الأسرة في تربية الأبناء سياسيا.

لكن هذا لا يمنع بأي حال من الأحوال ما يمكن أن تقوم به الأسرة في هذا المجال:

- فهـــناك جوانـــب أساسية تتعلق بمفهوم الديموقراطية، والحقوق والواجبات، والإرهاب، والعـــنف، والتســـامح، والسلام، والمقاومة، تشكل في مجموعها ركنا أساسيا في التثقيف السياسي، يمكن أن تكون المدرسة مسئولة عن تعليم الكثير منه، هنا يمكن للأب أو الأم أو هما معا أن يختبرا معلومات أبنائهم في هذا الصدد علهم يجدون ثغرات بحاجة إلى استكمال،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وربمـــا يجدون معاني تسربت إليهم من خلال بعض الإذاعات أو القنوات التلفيزيونية مما يتعارض وعقيدة الأمة ومصالحها العليا.

- وهـــناك الـــنظام السياسي، وما يتضمنه من عناصر، ومستويات وقواعد وهيئات، ونوع الحكـــم القـــائم والفرق بينه وبين الأنواع الأخرى، والظروف التي أدت إلى اختيار هذا النظام.
- وهناك المنظمات الدولية مثل هيئة الأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها، والمنظمات الإقليمية مثل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وكذلك المنظمة الإسلامية في هذا المجال أيضا، والمظمات الوطنية، وخاصة الأحزاب السياسية، إذا كانت توجد وفروع المنظمات الدولية والإقليمية القائمة في الوطن.
- ومن ذلك أيضا الوعي بمجريات الأحداث السياسية التي تخص الأمة العربية والإسلامية، وخاصـــة في الفترة الحالية، فيما يتصل بالأحوال في أفغانستان والعراق وفلسطين المحتلة، ومظاهر العدوان البادية ومشروعية المطالب العربية والإسلامية.

وأمـــور مثل هذه، وهناك غيرها كثير بطبيعة الحال، وما هذه إلا نماذج وأمثلة، يمكن أن يعتمد فيها الآباء والأمهات على ما يرد في بعض الكتب المدرسية، وما يجئ في الصحف والمجلات، وما يذاع في الراديو والتلفزيون.

ومـــن أخطـــر مـــا يمكن أن يلمس الأبناء من آبائهم وأمهاتهم انصرافا عن مصادر التثقيف السياسي، فإذا تصادف أن كان التلفزيون مفتوحا، وجاء موعد نشرة الأخبار في القناة المفتوحة، وســـارع الأب أو الأم بالتحول عنها إلى أمر آخر، فإن مثل هذا السلوك يكون وقعه سيئا على التربية السياسية للأطفال، حتى لو كان الواحد منهما لا يميل بالفعل إلى مشاهدتها، فإن مسئوليته في التربية السياسية توجب الإبقاء على المشاهدة. صحيح أن الكثير مما يذاع في الفترة الأخيرة ممـــا يوقع الهم والغم لمن يشاهده، من حيث صور التنكيل والتعذيب والتجريف والقتل والهدم الـــتي يمارســـها المحتلون في بقاع عربية وإسلامية، وأنهر دماء إسلامية تسيل، وقطع من أجساد تتطاير وتقذف على الطريق، مما يدفع المشاهد أو السامع دفعا إلى الازورار عن ذلك، بل ويرى البعض تجنيب الأطفال رؤيتها، لكننا حقيقة نرى أنها على الرغم من كل هذا مهمة لإبقاء شحنة الغضب والمقاومة في النفوس، والتذكير المستمر بهذه الاعتداءات الوحشية التي لا مثيل لها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سبل تطبيقية:

في كـثير مما عرضنا حرصنا على أن نتبع ما نقول من أسس ومبادئ في التربية السياسية بما يحسن تطبيقه من قبل الوالدين في هذا النطاق، مما جعل مقترحاتنا تتحدد بالقضايا التي عرضناه، ومن هنا تبقى سبل تطبيقية أخرى يمكن للوالدين أن يتبعاها في سبيل التربية السياسية، من ذلك على سبيل المثال:

– اصـطحاب الوالدين الطفل إلى بعض مجالس الكبار: وفى ذلك يشيع وهم لدى البعض بأن مجالس الكبار لا يحضرها إلا الكبار وأن للصغار عالمهم ومنطق فهمهم وأساليبهم في التعامل مما لا يـتفق مـع هذه المجالس، ونحن لا ننكر هذا، ولكننا في الوقت نفسه نرى أنه من المفضل في بعض الأحيان، بالنسبة لبعض المجالس، ووفق شروط وآداب خاصة قد لا يكون هنا محل لها، أن يصـحب الوالـدان الطفل إلى هذه المجالس، فمثل هذا الاصطحاب يفتح الآفاق أمام الطفل، وتـتعدد الخبرات لديه، ويتشرب مباشرة الكثير من آداب التعامل والمناقشة والفهم خاصة إذا كانت هذه المجالس مجالس تثقيف وعلم.

وكـان الأطفال يحضرون مجالس النبي ﷺ، وكان آباؤهم يأخذونهم إلى تلك المجالس الطيبة الطاهرة، فهذا عمر رضي الله عنه، يصحب ابنه إلى مجلس رسول الله، أخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: " أخبروني بشجرة مثلها مثل المسلم تؤتى أكـلها كل حين بإذن ربها ولا تحت ورقها، فوقع في نفسي النخلة، فكرهت أن أتكلم، وثمّ أبو بكـر وعمر، فلما لم يتكلما قال النبي ﷺ: " هي النخلة "، فلما خرجت مع أبي، قلت: يا أبتاه وقـع في نفسي النخلة، قال ما منعك أن تقولها؟ لو كنت قلتها، كان أحب إلى من كذا وكذا. قال: ما منعني إلا أني لم أرك ولا أبا بكر تكلمتما، فكرهت "، وفى رواية: " فإذا أنا أصغر القوم فسكتُ ".

ففي أخذ الطفل إلى مجالس الكبار تظهر نواقصه واحتياجه، فيستطيع المربى عند ذلك، توجيهه نحـو الكمال، ويشجعه على الجواب عندما يطرح سؤال فيتكلم بعد استئذان، وذلك في أدب ووقـار، فيتكـلم معهم ويتلقح عقله وتتهذب نفسه، ويتعرف إلى أحاديث الكبار شيئا فشيئا، ويتهيأ لدخول المجتمع، وهكذا يتدرج رويدا رويدا (ناجى راشد العربي، في: المنظمة الإسلامية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للتربية والعلوم والثقافة، ندوة: مبادئ تربية الأسرة في ظل تعاليم الإسلام، الرباط، ٢٠٠١، ص ٢٨٠).

وروى ابن سعد وابن جرير وابن المنذر والطبراني وابن مردويه وأبو نعيم (رواه البخاري في صحيحه)، عن ابن عباس، رضي الله عنه، قال: " كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال عبد الرحمن بن عوف، لم تدخل هذا الفتى معنا؟ ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتهم، فدعاهم ذات يوم ودعاني وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال ما تقولون في قوله تعالى (إذا جاء أمر الله والفتح) النصر / ١، حتى ختم السورة، فقال بعضهم أمرنا الله أن نحمده ونستغفره، إذا جاء نصر الله وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندرى، وبعضهم لم يقل شيئا، فقال لي يا ابن عباس، أكذلك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون) النصر / ١-٢، والفتح فتح مكة، فذلك علامة أجلك، فسبح بحمد ربك واستغفره، إنه كان توابا، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم ".

- ومن ذلك أيضا تكليف الطفل ببعض المهام، فذلك من شأنه أن يربط بينه وبين الحياة العملية، فيكتسب خبرات حية، ويتعود المسئولية، أخرج الإمام أحمد والبخاري ومسلم واللفظ لأحمد، عن ثابت البُناني عن أنس، رضي الله عنه قال: " خدمت رسول الله ﷺ يوما حتى رأيت أني قد فرغت من خدمتي، قلت: يقيل - أي ينام بعد الظهر - رسول الله ﷺ، فخرجت إلى صبيان يلعبون، فقال فجئت أنظر لعبهم قال: فجاء رسول الله ﷺ فسلم على الصبيان وهم يلعبون، قال: فدعاني رسول الله ﷺ فبعثني إلى حاجة له، فذهبت فيها، وجلس رسول الله ﷺ في في حتى أتيته، واحتبست عن أمي عن الإتيان الذي كنت آتيها فيه، فلما أتيتها قالت: ما حبسك؟ قلت: بعثني رسول الله ﷺ في حاجة له، قالت: وما هي؟ قلت: هو سر لرسول الله ﷺ. قالت: فاحفظ على رسول الله ﷺ سره، قال: ثابت، قال لي أنس: لو حدثت به أحدا من الناس، أو لو كنت محدثا به لحدثتك به يا ثابت.

وإن ما آداب قضاء الحاجات، تعليم الطفل اللطف في الطلب (المرجع السابق، ص ٢٨٣)، وإن كانت طلب دين، أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: " كان رجل يداين الناس وكان يقول لفتاه، إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه، لعل الله أن يتجاوز عنا، فلقي الله فتجاوز عنه ".

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

– ومـــن ذلك: التسلح الخلقي، فإذا كان المشهور في الأدبيات السياسية تلك المقولة المرذولة وهي أن السياسة عادة بلا أخلاق، حيث المعيار الأساسي هو " حق القوة " وليس " قوة الحق "، ومـــن ثم تغليب المصلحة والمنفعة، فإن السياسة في الإسلام لا تنفصل عن أساسياته، ومن هذه الأساســـيات أن يكـــون المسلم على خلق، حتى ولو كان في مجال حرب واقتتال، وأمثلة ذلك كثيرة لا يتسع المجال لذكرها.

من هنا يصبح من المهم أن يحرص الوالدان على تسليح الطفل خلقيا، ففضلا عن لزوم ذلك في الحياة على وجه العموم، فإن من المحتمل أن يشتغل فيما بعد بالعمل السياسي فيكون ذا خلق فاضـــل في سلوكه السياسي، وإذا لم يحدث هذا، يتوافر لديه معيار يحكم به على ما يحدث من ممارسات سياسية، سواء على المستوى الوطني أو الإقليمي أو العالمي.

يقـــول ابن القيم في كتابه أحكام المولود (المرجع السابق، ص ٢٨٨) ما نصه: " ومما يحتاج إليـــه الطفل أشد الاحتياج الاعتناء بأمر خلقه، فإنه ينشأ على ما عوده المربي من صغره من حر وغضـــب ولجـــاج وعجلة وخفة مع هواه وطيش ووحدة وجشع، فيصعب عليه في كبره تلافى ذلك وتصير هذه الأخلاق صفات وهيئات راسخة له، فلو تحرز منها غاية التحرز فضحته لابد يوما ما، ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم وذلك من قبل التربية التي نشأ عليها.

ومـــن هذه الأخلاق ما رواه أبو هريرة،فيما رواه البزاز في المسند، كتاب الأدب، قال: قال رســـول الله ﷺ: " إنكـــم لن تسعوا الناس بأموالكم، ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق ".

وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها، فيما أورد ابن عبد البر: " جاءت عجوز إلى النبي ﷺ فقـــال لها: " من أنت؟ " قالت: جثامة المُزنية، فقال: " بل أنت حسانة المزنية، كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟ " قالت: بخير، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فلما خرجت قلت: يا رسول الله تقـــبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ قال: " إنها كانت تأتينا أيام خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان "، (المرجع السابق، ص ٢٩١).

– ومـــنها أيضـــا الحرص على تنمية التفكير والذكاء، إذ ليس من المعقول، بعد هذه الرحلة العالميـــة الطويلة من الإنجازات أن نحبس عقول أطفالنا في مجال الحفظ والتخزين والاسترجاع، نظاما للتربية والتعليم بإقامة عقل الطفل على التلقين والارتكاز إلى الحفظ، على حساب تنمية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التفكير أو تعليم التفكير، والسعي إلى حشو الذاكرة على حساب تنمية الذكاء، وعلى الأخص بعد أن كادت الذاكرة تلغى بوسائل الحفظ والتخزين الحديثة، ليتحول الجهد كله إلى تنمية الذكاء وامتلاك القدرة على توظيف المعارف، بدل الجهد المضني المبذول في تكديسها وتخزينها (مقدم عمر عبيد حسنة، لكتاب بركات محمد مراد عن ظاهرة العولمة، رؤية نقدية، كتاب الأمة، العدد ٨٦، الدوحة، ١٤٢٢هـ، ص ١٧).

إن عدم تأهيل أجيال الأمة، وتمكينها من أدوات النظر، ومناهج الفهم للمشكلات المعاصرة، وكيفية التعامل معها، من خلال قيمهم الإسلامية، وتجاربهم التراثية والحضارية، يحولهم إلى ببغاوات، عقولهم في آذانهم، يرددون ما يسمعون، سواء بالنسبة للتراث أو الموارد الثقافية القادمة من الآخر، وفى أحسن الأحوال، يتقعرون بإطلاق الشعارات المحفوظة عندهم على كل شئ، ويتعاملون مع كل المتغيرات بالوسائل نفسها، وهو الأمر الذي لا يمكن أن يقبله الإسلام لأبنائه، ولا نظن أن الوالدين يقبلان هذا لأطفالهما.

وبعـــــــد....

إنها حقا قطرات من بحر، وكيف لا والدراسة قد تعلقت بقضيتين: الوالدية، والتربية السياسية، وكل منهما على درجة عالية من الأهمية والخطورة، كما أن كلا منهما يحفل بما يصعب حصره من القضايا التي تستنفر البحث والدراسة، ومن ثم فإننا لم نضع في اعتبارنا أبدا قدرتنا على استيفاء الموضوع كامل حقه، لكننا إذا استطعنا أن نستثير شوق القراء والباحثين إلى مزيد من البحث والدارسة، استجلاء للمزيد من الجوانب نكون قد نجحنا في سعينا، وإن لم نستطع، فيكفينا أننا نوينا وسعينا واجتهدنا، وعلى الله قصد السبيل.

د.سعيد إسماعيل على

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com